

انطون قازان

اشياء حول الشعر

بقلم انطون قازان

كلما حاول الباحث استيعاب ناحية في الشعر احس بمغيبات اخر ، وكلما رسم اطارا تفلت من يديه ، لكأن الناقد سائر في ركاب الشاعر ، يتلمسان معا مطلقا مجهولا فيعثران على نسبية قاسية .

هي حال الشعر الدائمة ، تشوف الى قرار ، وتوق الى منتهى ، هيهات ان يبلغا .

وتستبد النسبية بالشكل الجمالي ، فالعبارة ما فتئت تململا ، واللفظة تقصيرا مرغما ، كانه حقد بين الخيال الجموح واللفظة المدللة ، ذاك باجتياحه المجنون وتلك بتخطرها الفنج .

اما المضمون فتراوح قلق بين كف الخيال وخطى العبارة .

وفي هذا المحتدم العارم اين الحدود ؟ بل اين القواعد ، يفرضها العقل ، تراه يفقه عالم الحس ، وتمر به اجواؤه ؟

يسعى الشاعر المتقن وقد احس بعبء الجمال ان يطول الزمن بالشعر الموعود ربما تمر به الحالات جميعا وتمسح الريشة بالطيب كله ، وما هم ان تكون حولية ، او ربما اكثر . شرف القصيدة ان تستوي على المشارف ، وعز الشاعر ان يتطلع دوما الى فوق .

وتفهم معاناة اللفظة المتمردة ، ويفقه بعد الصوت ، فالحس مشدود ابدا صوب الغيب يتسقط وضوحه ، والورق مزيج من غموض يتفتح ، وتمرد يلين .

ان بيت الشعر بناء ضخم ، فالعتبة مهاد احشاء ، والفناء محط خيال ، والرتاج ختم قافية ، والسقف سماء .

ومن النعم ان يشاد بزمن . انه الشاعر مهندس هذا الكون الصغير .

وطبيعي ان يطلب من الشاعر سمو في الاغراض ورفعة في المواضيع ، فجمال البناء احق من ان ينهض على مبتذل الاشياء .

ولا عجب أن نرى الحب غرض الشعر الاول ، والالم موضوعه الخطير ، والبهجة رسالته الكبرى ، سبحان من حشد العظائم ضمن احرف ثلاثة ، وترك لاهل الشعر تفجير الطاقات بالمتع الوضاء .

وبينا يستقيم هذا السحر المغلق ، ويبدو ذلك الجذب الداعي ، يتهافت اولو الذوق فلا بد من أجنحة تحرق ، ودماء تسفح ليسلم نزر باق .

ما احوج الناس الى هذا النزر يملأ الموائد ، وشبع الروح من ذرارات الجوهر .

الشعر محاولة بلوغ وتجربة وصول ، والشاعر من اعطي ان يستلم قدس الجوهر ، ويعود منه بشيء .

حبذا لو حظي الشاعر بناقد محب ، وقارىء بصير . انهما اخواه في ارتقاء الذروة ، الاول يضع اليد على الصعوبة المقتحمة ، فيوقظ القارىء الى جلال المهمة ، ويبرز للعين الساذجة العشواء خفايا الجمال ، فاذا القارىء مهيأ للنعمة ، وقد ادرك سابق الضنى اليها .

مطلوب من الناقد حسن الدلالة ، فالقارىء ينتظر وقد عجز عن الراي ، والشاعر ينتظر وقد همه الراي . انها المسؤولية تتراوح بين المحبة والقسوة ، فلا تشاب الاولى بضعف والثانية بتجن .

الا يورك هذا التعاون بين شاعر يعطي ، وناقد يفقه ويهيء ، وقارىء يتناول . وهنئت امة سلمت فيها هذه المشاركة ، لقد صح العطاء ، وارتفع الخلق ، ونهض الذوق ، فالامة في ارتقاء .

وما دامت مهمة الشاعر الاحاطة بمجمل مرافق الحياة ، ونوازع الانسانية ، فأي جني من استكمال اللفتات في عطاء شاعر ، وحب ناقد ، واعداد قارىء .

ويأتيك التراث بضخامة موحياته ، والواقع بتشابك تياراته ، والمستقبل ببشائر امانيه ، فالشاعر بينها جميعا رسول الانسان الى غايته الفضلى .

هل في العصر تمرد على رسالة الشاعر ؟ وهل الشاعر في تغلب الجزيرة على الانواء ؟

لقد اتهم العصر بافتراءات جمة ، قيل المادة ، وقيل السرعة ، وقيل العلم ، وقيل الحيرة ، وظن انها جميعا عقبات في طريق الشاعر . او لم تكن حوافز لعبقرية غير هيابة ؟ هل المادة تشبث بالارض وحسب ؟ أوليس فيها انطلاق لاجواء ؟ واقتحام لابعاد مكوكبة ؟ هل السرعة قعود عن ومض وتثاقل عن وثبة ؟ هل العلم بعد عن تركيز ، وتقاعس عن سبر اغوار ؟ هل الحيرة غير الطريق للراي والسبيل للقرار ؟

ومتى العبقرية اتسعت وجدت في وهم العقبة مستندا لعطاء اي عطاء .

واذا العلم تململ في مصاعبه وظل على مغلقات افاقه ، فما افسحها امام بصيرة الشاعر ، وما الصقها بانسانية من حارت البرية فيه !

لقد يبعد العالم عن الانسانية ليعود اليها ، ولربما بسوء، اما الشاعر فما فارق يوما انسانيته ولا اقبل عليها بغير الرحمة والخير .

هذه العذوبة الطاغية ، وهذا الصفاء الخفي لا بد انهما لاشاعة الحب ونشر القيم .

على انه مشدود الى واقع الحياة بأكثر من ضرورة وسبب . يكاد لا يعني اليوم الا بمقدار ما يعبر عن حاجة ، ويحل مشكلة ، ويعود بجني .

لقد عجل فتى الزمن الى وصل غاياته . ارهقته اعباء العصر ، وتراكمت عليه متطلبات الحياة ، فساعات لهوه ابحار في مجالات همومه .

ويكون تأفها أن يفرب الشعر عن هذه الحاجات الجوهرية ليلهو بنزة عابرة او يخلد الى اثره .

لم تعد مهمة الشاعر ان يغني عاطفة ، او يخرج حسا من النفس غامضا او يجمّل مشهدا وحسب ، بل ان يشرك الانسان في كل هذا ، ويحدد موقع الانسان من كل هذا .

الانسان ، هذا هو الموضوع الاول والمحور لكل انطلاقة شعرية باقية . وبقدر ما يغور الشاعر في اعماق النفس البشرية بقدر ما تنفسح امامه الافاق فيغدو الى شمول واتساع .

ثم هو بقاء واستمرار . فعناصر البقاء منبثقة من جوهر الانسان نفسه، هذا المخلوق الذي جابل الكون وساد اشياءه انما هو مصدر كل تعبير حي ونعمة فنية .

قيمة الاشياء مقدار تفاعلها والاحساس الانساني ، والا كانت جمادا تافها عقيما .

ومن هنا ان اطالة الكلام لم تعد للعصر ، بل اكتناز المضمون الانساني فيه ثم التجربة الحضارية في تطلعها للغد المرتجى .

الشعر ، هذا اللهب المقدس كما يقول كيتس هو ثقل من الخلود قائم في جوانب القلب ، فما اجدره بالعناية الكبرى .

تتجلى هذه العناية في اعداد الشكل الملائم . ان الرواج على غارب الفطرة لم يعد للعصر، وسمو الاغراض وحده ما كان يوما كافيا للقول بالشاعرية ، لقد عيب على لامرتين نفسه استسلامه لفطرته ، واعتبرت شاعرية المعري في نثر « رسالة الغفران » لا في « لزومياته » .

ليس واجبا دوما ان يسيطر الفهم على المعطيات الشعرية ، فما اكثر ما تكون حالات ، وما اغلب ما يكون الحس العارم هو المخيم فينتشر الشعر كما الروائح الفالية ولا تدري من أين .

تحسك ملئت بالطيب ولا تدري الجوانب .

يقول بودلير : « ان لوحة من دولاكروا اذا نظرت اليها من بعيد تحدث في نفسك هزة فنية قبل ان تتبين معالمها » .

صحيح هذا ما كان الوضوح يوما من مستلزمات الشعر الجوهرية ، كثيرا ما قام الفن كله على غير هذا الاساس .

قد تغني غناء بلغة لا تفهمها وتطرب ، وقد تشاهد فنا من غير ما الفت عيناك وتقدر .

هذا السائل الغريب ، محدث الرجفة الناعمة والنغم الشجي ، يلبسه الناس حللا شتى ، المهم ان تبلغ الريشة هذا السائل السحري وتنقل المتع على مراكب من نور .

على انه لا بد في اي حال من الاشارة الى مدى الصعوبة التي تعتري الشاعر المعاصر عندما تواجهه لفظة من خلق العصر الجديد ، فهو لم يألف بعد اطلالات التعبير الجديدة وطبيعي الا يرتاح الا الى تلك التي بينه وبينها قرابات قديمة .

ان اشرف المعادن لاثمن الاطباق ، والتآلف الفني حاجة في الجوهر كما التآلف الانساني .

ليبدا جمال الشعر بالنفس مصدر كل ابداع ، ولكن لينتقل الى الورق في سطوع الكأس بالخمره المشعة .

العهد بالشعراء يحبون الجمال ولا يكتفون منه بموضع، بل يريدونه امام كل عين وفي كل حالة ، فما احرى ان يتشبثوا به في شعرهم .

اجل قد لا يبلغون دوما ما هم ساعون اليه ولا ضير ، « فلا امير الفجر ولا بلبل الصباح يغنيان الانشودة التي يشتهيانها » كما يقول روستان .

ان النفس اغنى من ان تضمها احاطة ، والامنية ابعد من مدى العين ، والفن سعي دائم ، والويل لمن ظن انه بلغ الغاية ، لقد اقعده الوهم واثقله الجهل ، اما رايت العبقري ابعد الناس عن حس الوصول . انه يعطي ولا يفكر يوما بحساب ، كأنما هو النبع شيمته العطاء ، وحسبه هذه اللذة ولا غاية .

ينابيعنا في لبنان صافية ، وغنية ، فما اروع ان يظل شعراؤنا على صفاء هذه الينابيع وغناها !

يظل الجمال اخا للشعر المعاق . والعصر ، على وفرة همومه ، ما غاب عنه الجمال ، لكنه بعد قليلا عن وهج العيون ، فهو بحاجة الى عملية تجمّع في الفكر والحس لتنقشع معالمه .

لقد طرح العصر امام العيون جمالا صلبا حديديا ، اضاع كثيرا من جمال المحترف البدائي ، وبراعات اليد في مجالات الفن الاول .

على انه جمال في اي حال ، وربما انفتح عن اروع ما عرف الناس من نشوة ولذة .

فلنثق بما يحمله الغد من متع ، انه وافد كريم .

انطون قازان



طيب الشوق

* * *

امين نخلة

بيني وبينك ما لا تحمل الرُسُل !   والشوق أطيب ممّا تطعم القبلُ •

قد هوّن البعد أنّ الشوق يدركه ،   والظنّ من زعمات الوهم والاملُ •

أقول للهاتف المشتاق في سحر :   يا مالىءَ الدنّ همّاً انني ثملُ •••

من كان في الحب يسلو بعد صاحبه ،   معزّزَ الدمع ، هذي أدمعي ذُلُلُ •

حلت على صور التذكار لي شفةٌ   مبتلّة ، وهي تحت الورد تشتعلُ !

فمٌ يحف فمي من طيب قبلته   باحمر من عقيق طعمُه عسلُ •

مزوّدي الرّيق : أذني فيك سائلةٌ   أين الفرائد أُخت الشّهد والجملُ •

ومن معيري استجابات لما سألت ؟   ان كان في الحب لا يُعطى الذي يَسَلُ !

* * *

يا لابس الوشي من نسج الصّبا خَضِراً ،   في رونق الغصن : عاش الاخضر الخضلُ

مداهن المسك ان فُضّت على حُلَلٍ   فانّما لك انت المسك ، والحُلَلُ •

والخمر والكأس ان أقبلت أين هما   من مقلتيك ، وأين الشعر والغزلُ ! •

طبقة الفهماء

بقلم حسن الكرمي

من العروة الوثقى في لندن

* * *



في مقالي الاول عن طبقة الفهماء Intelligentsia قد شرحت بشيء من التطويل موضع هذه الطبقة في المحيط الذي تعيش فيه ، وبينت مميزاتها وما تنشره من افكار سياسية واجتماعية تتصف بالنقمة على نظام الحكم القائم، ويتلقفها الثوريون ويعملون على هدمه . وقل من هذه الطبقة من يكون ثوريا فعالا بالمعنى الصحيح ، لان الاكثرية الغالبة منها ، اما انها لم تمارس الحكم ولم تشترك في اعمال الدولة حتى تعرف هذه الاعمال معرفة مباشرة وتلمس حقيقتها ، واما انها لم تختلط بعامة الناس حتى تعرف مشاعرهم ومنابع الانفعال عندهم والدوافع النفسانية في صدورهم . فهي في الحقيقة طبقة عائمة تجول بين هذين الطرفين ، دون ان يكون لها نصيب كبير من المعرفة العملية المباشرة ، وانما تبني افكارها واراءها على ما يوحيه اليها الفكر المجرد والاستدلال المنطقي ، وشتان بين من يجرب ويختبر بالممارسة والمباشرة وبين من تعوزه الخبرة والتماس بواقع الحال . وسأتكلم على هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد .

ووعدت ايضا في ختام مقالي الاول بأن اتعرض للبحث في طبقة الفهماء عند العرب ، وكان يجب ، برا بذلك الوعد، ان يكون هذا المقال الثاني عن الفهماء بين العرب في البلاد العربية في الوقت الحاضر . ولكنني حينما جلست للكتابة وجدت ان الافضل هو ان أؤجل ذلك الى فرصة اخرى ، الى ان يستكمل معي الكلام عن نواح اخرى من صفات هذه الطبقة ومنشئها وما هي عليه من اختلاف او اتفاق في البلاد التي نشأت بها ، كفرنسا وروسيا مثلا . وعلى هذا فانني سأقصر كلامي في هذا المقال الثاني عن الوضع الاجتماعي لطبقة الفهماء وعن موقف هذه الطبقة التي هي بمثابة ما سماه افلاطون بالملك الفيلسوف .

يجب اولا ان نتذكر ان وجود طبقة الفهماء في كل مكان مرده انتشار التعليم . اذ لولا ذلك الانتشار لما كان في الامكان حدوث هذه الطبقة. وقد صادف ذلك نشوء الطبقة المتوسطة ، او البرجوازية ، ومنها نشأت جماعة من الادباء والمفكرين حملوا على كاهلهم امر النظر في احوال مجتمعهم وامر توليد الافكار التي غايتها تغيير هذه الاحوال تغييرا جذريا . ويجب ثانيا ان نتذكر ان طبقة الفهماء لم تنشأ نشأة منقطعة عن الماضي انقطاعا تاما ، بل نشأت ولها جذور عميقة مديدة تستقي من افكار الماضي ومن عاداته وتقاليده. ولولا ان الادباء والفنانين قد ارتفع مقامهم في أعين الناس وزاد احترامهم لدى ارباب الثروة وارباب الحكم بفضل التطور الاجتماعي لما كان لهم من يصغي اليهم ولذهبت افكارهم ، على ما فيها من تفكير وتدقيق ، ادراج الرياح . واستقلالهم عن ارباب نعمتهم في السابق ، وانقطاعهم عن التزلف الى النبلاء وخدمتهم والانصياع الى اوامرهم ، كما كان فولتير يعمل مثلا ، امر في غاية الاهمية في نشوء هذه الطبقة وتطورها .

قلت ان هذه الطبقة لها صلات بالتقاليد القديمة نبتت عليها ، ولم تكن منقطعة عن الماضي . ومن اهم هذه التقاليد التي قامت عليها افكار طبقة الفهماء في أوروبا منذ قرن ونصف (١) التقليد العلمي النظامي (٢) التقليد الرومانطيكي (٣) التقليد الشعبي (٤) التقليد الاخروي . وجميع هذه التقاليد مناوئة لسلطتين : السلطة الدينية والسلطة الزمنية . وكانت السلطة الدينية اولى هاتين السلطتين التي تعرضت في بادىء الامر لنقمة طبقة المثقفين ، ثم تلتها في ذلك السلطة الزمنية . ولكن ظلت السلطتان معا في صراع مع رجال هذه الطبقة ، ولا تزالان في هذا الصراع حتى الان .

اما التقليد العلمي فمن اول دعوته انكار سلطة النقل والعنعنات والتمسك بسلطة العقل . بمعنى ان الانسان يجب ان لا يؤمن ولا يثق بقول او حكم من غيره الا اذا عرضه على العقل والمنطق، فان كان القول لا ينطبق على المعقول والخبرة العملية كان احرى بالرد والرفض . ثم ان الاختبار خير دليل على صحة الشيء ، والقول المنقول ليس له ما يبرره بدون هذا الاختبار ، حتى ولو كان صادرا عن سلطة دينية او سلطة زمنية. والعاطفة الشخصية في هذا الباب تبعد عن الحقيقة والموضوعية ، ولذلك يجب طرحها ونبذها كاساس للحكم والعمل . ويتبع ذلك الاعتبارات المتعارف عليها والمنصوص عليها في نظم المؤسسات الدينية والغير الدينية ، لان هذه لم تقرر في الاصل تقريرا علميا منطقيا . والغرض كله من هذا التقليد العلمي الوصول الى الحقيقة عن طريق الفكر المجرد والخبرة المباشرة والتحقيق .

والتقليد الرومانطيكي يحض على ان يكون للفرد حرية الاعراب عن نفسه واظهار ما تخفيه جوارحه . فهو في الحقيقة يدعو الى الاصالة في الانتاج الادبي والفكري عموما ، لان هذه الاصالة هي التي تعطي للاديب او للمفكر الصفة او الصفات التي تميز شخصيته وكينونته الفردية عن غيره ، وتجعل لافكاره طابعا خاصا يخرجه عن الافكار التقليدية عند الناس والاراء المتحجرة على اشكال ثابتة مأثورة . وكما ان النظم الاجتماعية والقواعد المتعارفة مما يقضي على روحية الفرد المفكر ، كذلك الاوامر والوصايا

الضابطة لسلوك الفرد تقضي على الاستقلال الفكري وعلى الروح الفردية . فهذه ايضا يجب التحرر منها . ويدخل في ذلك نظام الاسرة بما فيه من تعقيدات وقيود ، بل ونظام المجتمع بعاداته واعتباراته ومتعارفاته . فهذا يجب التحرر منه تبعا لهذا التقليد الرومانطيكي ، لان الاسرة على هذه الحالة والمجتمع على تلك الاوضاع يقضيان على كينونة الشخص الفردية او على الاقل يقضيان على اصالة التفكير والابداع عنده .

ولما كان المفكر الفهيم يعيش في واقع الامر عيشة العزلة الفكرية والاخلاقية عن مجتمعه ، فان هذا المجتمع لا محل له في مفهوم طبقة الفهماء . وهنا يجتمع الفهيم والثوري على صعيد واحد ، لان الثاني مقاوم للنظام المؤسس الاجتماعي ويسعى الى التفلت والتحلل منه بطريقة البوهيمية . وهنا ايضا يجتمع التقليد الرومانطيكي والتقليد العلمي في رفض التقاليد الشعبية والنظم الاجتماعية القائمة على صعيد واحد .

والتقليد الشعبي ، كالتقليد الرومانطيكي ، يبدو لاول وهلة انه مناف للتقليد العلمي ، الى ان يكشف النقاب عنه فيتجلى في واد واحد مع هذا التقليد . واساس التقليد الشعبي ان طبقة البورجوازية العنيفة وطبقات اصحاب السلطة الدينية والزمنية تقسو على عامة الشعب وتخضعها لنظم واعتبارات مصطنعة كاذبة حتى تبقيها جاهلة مستعبدة . ولو تركت عامة الشعب على سجيتها لنبع منها افكار تحررية تخرجها من هذا الاسار . ومن اسس هذا التقليد الشعبي ان الجماهير الشعبية ، لو تركت وشأنها، تكون مصدرا للفضائل الاخلاقية والافكار التي تؤدي بها الى التحرر والتحلل من ربقة المجتمع الذي اوجده اصحاب السلطة بقيوده ونظمه المصطنعة . اضف الى ذلك ان القول السائر منذ القديم بأن السنة الخلق اقلام الحق هو من أسس هذا التقليد . ولعل الخوارج في ثورتهم ضد علي والامويين معا في اول عهد الاسلام كانوا يعبرون عن هذه الفكرة ، ويقاومون دعوى علي رضي الله عنه المبنية على الارستقراطية الدينية المتصلة بالنبي صلى الله عليه وسلم ودعوى معاوية المبنية على الارستقراطية الزمنية منذ ايام ابي سفيان والسيادة على قريش . وهذه هي النظرية المتصلة بالماركسية التي تدعو الى اعطاء الجماهير والشعوب حرية الاعراب عن عواطفها وافكارها وهي ايضا الان فكرة عدد من المفكرين والمثقفين في البلاد الاسيوية والافريقية ، الذين اخذوا ينظرون الى المدنية الحديثة بانها قطعتهم عن الاتصال بعامة الشعب وحرمتهم من التشاعر معها والاحتكاك بدوافعها وحاجاتها .

والتقليد الاخروي مأخوذ من التقليد الديني ، وهو موجود في العهد القديم وفي العهد الجديد بل وفي القرآن . واساس هذا التقليد ان الحياة الدنيا حياة فاسدة لا بد ان تنتهي وتخلفها دنيا افضل منها تعم فيها الاخلاق الرضية والمعيشة النقية من الخطايا والمفاسد . وهذا التغير متوقف ، في رأي الانبياء القدماء ، على انقياد الشعب الى الاراء والمعتقدات الجديدة التي اتى بها اولئك الانبياء لانها تمثل ثورة على نظام المجتمع القائم في الميدانين المدني والديني . وهذا شبيه بدعوة المسيح الى الملكوت السماوي ، وبما كان ينتظره المسيحيون في العصور الاولى من المسيحية من انقلاب في العالم يغير الاوضاع ويبدل الاحوال بشيء شبيه بملكوت الله على الارض . وقد دعا الاسلام الى شبيه ذلك ، وخلاصته ان هذه الدنيا بما فيها من اعوجاج في الاخلاق والتواء في المعاملات زائلة في وقت ما ، وتعقبها دنيا تسود فيها الفضائل ويعم العدل ، ويعيش الناس فيها في امن واطمئنان . ولا تزال هذه الفكرة الدينية قائمة عند بعض الفرق الدينية ، ولعل الاخوان المسلمين وجماعة التحرير في البلاد الاسلامية من هذا القبيل . ولكن ابرز جماعة اخذت بهذا الراي وبنت عليه هي جماعة الماركسيين ، في اول عهدهم وفي ايامهم الحاضرة في روسيا . فان برنامج الحزب الشيوعي الاخير موضوع على اساس تمنية الشعب بحياة رغيدة في المستقبل القريب ، يتخلص فيها الفرد من ضغط الحاجة ومن مشقة الكد للحصول على الرزق ، ويكون فيها مغتبطا سعيدا آمنا . بل ان الماركسيين في روسيا يدعون الى هذه الفكرة الاخروية في قولهم بأن الحالة القادمة ستكون خالية من حكم الدولة ، يعيش فيها الانسان حرا يعرف ما له وما عليه بدون تداخل او تطفل من الدولة . وهذا ، كما هو معروف ، شبيه الى حد بالحياة الطوبوية الفاضلة التي كتب عنها افلاطون والفارابي وطومس مور واؤون وسان سيمون وفوريه وغيرهم .

ولعل القارىء يجد تناقضا بين هذه الاتجاهات . فهو قد يتساءل عن التقليد العلمي والتقليد الرومانطيكي كيف يمكن الجمع بينهما ؟ وكيف يمكن الجمع بين انحياش الفهماء وانعزالهم وبين دفاعهم عن الجماهير وعامة الشعب؟ وكيف يمكن الجمع بين الدعوة الدينية الى الملكوت السماوي وبين الدعوة الاصلاحية الاجتماعية على يد الفهماء ، على ما هم عليه من خصومة مع الدين ؟ هذا التناقض في الحقيقة ظاهري غير حقيقي . لان غاية الفهماء هي اولا التحرر من السلطة بانواعها ، سواء كانت سلطة دينية او زمنية او اجتماعية بما لها من التقاليد والنظم المأثورة ، وثانيا وضع النظريات والافكار المؤدية الى تحسين حال المجتمع واسعاده حتى يكون مجتمعا فاضلا من جميع الجهات ، لا فرق في ذلك بين اقتصاد وحكم واخلاق .

ولكن طبقة الفهماء نفسها لا تشكل في الحقيقة طبقة اجتماعية منفصلة تماما عن الطبقات الاخرى ، وانما هي ، كما قلت ، طبقة مائعة تموج بين الطبقات الاخرى ، لان الفهماء انفسهم ينتمون في الاصل الى جميع طبقات المجتمع ، فمنهم من كان من الطبقة البورجوازية ومنهم من

الليلة الاخيرة

مع الصديقة الارلندية كاترين ماكورك

جئتها زاهيا بدل الشباب   شامخ الطرف ناعس الاطياب
انه ليلي الاخير ، فقالت :   احزين لفرقة الاصحاب ؟ ؟
قلت : اني يا حلوتي في ارتياب   لست ادري في ساعتي ما جوابي

ومضينا لمرقص وغرقنا   بين رقص (التويست) والانخاب
ولمحت الجميل في شبه حلم   عبقري يهيم في كل ما بي
كالتفاف الغصون كانت يداه   حول كتفي ، كضمة الاتراب
الصق الخد في ضلوعي وجاءت   رائعات الانغام تقرع بابي
وتلاقى ثغران في حلبة الرقص   كما تلتقي متون السحاب
وحملنا كؤوسنا لزوايا   شائقات كعشة الاحباب
الحديث اللذيذ يسري كهمس   – شاعري ، كرشفة من شراب
وكلانا يهيم في قبلات   هن عندي اشهى من الانخاب
وتناهى من (كاترين) غناء   – آيرشي – (1) فهدهدت اعصابي
ايهذا الفريد يا بلبل الفن   اتاني وقد حزمت ثيابي
ليتني ليتني عرفتك قبلا   في ليال من الفراغ خوابي
انه ليلي الاخير فهلا   جئت قبلا يا ربة الارباب
وتناهى من (كاترين) كلام   بين عزف القيان والاكواب
يا حبيبي في ومض عينيك سحر   شد قلبي لموطن الاعراب
منذ شهر وفي عيونك برق   شاعري يدق في الليل بابي
يا حبيبي وذاب نصف كلام   في شفاهي ونصفه في الجواب . .

لا تسلني عن ليلنا في الاياب   كان حلما نهزته في اغترابي
لا تسلني وسل عطورا اريقت   فوق نهد وسل كؤوس الشراب
ما غفونا حتى استفاقت طيور   من عشاش وغردت للروابي

لا تسلني عن ليلنا في الاياب   كان حلما نهزته في شبابي
واحتواني بحر الشمال كأني   ما ضممت الربيع طي اهابي

(1)آيرشي – أي ارلندي واللفظة التي استعملتها اقرب للنطق الانكليزي وأصوب .

اوسلو   هلال ناجي

كان من طبقة الوجهاء ، ومنهم من كان من رجال الدين ، ومنهم من كان من عامة الناس . ولا يجمع بينهم جامع الا النقمة على مجتمعهم وتحمسهم لقلب هذا المجتمع وتغييره بآخر يكون افضل واعدل .

وقد يتهم الفهماء بأنهم سلبيون او رفضيون negativist او متجانبون او متجافون alienationist ، لانهم اولا يسعون الى هدم النظام القائم ولانهم ثانيا منشقون عن الطبقات الاخرى وتنظر اليهم هذه الطبقات بعين الريبة والتوجس ، وهذا بحث سأتعرض له في المقالات القادمة .

لندن   حسن الكرمي

من مجامر الصخور

« مجامر الصخور » كتاب معد للطبع يضم مختارات كتبت بين ١٩٤٦ – ١٩٥٢

بقلم ثريا ملحس

... ايتها الروح ، خذي جسدي ، ذوبيه ، لا بل امحيه عن الوجود ، وامنحيني ذرة من حريتك .

انت بعيدة ، تصعدين وتهبطين ، تروحين وتجيئين ، تمرحين وتتألمين .

لا تعرفين جنسا ولا دينا ولا حدودا ، انت كل شيء عندي ، وكل ما اتمناه .

اما عند الناس فانت سراب واوهام .

تمردي ايتها الروح ، يا روحي ، دعيني اتنفس قليلا ، كدت اغرق ، امواج تعلو ، وحولي ناس متزمتون ، لا يؤمنون بك ، اموت شيئا فشيئا ، لم لا اموت سريعا ، سريعا ؟

انطلاقك كالبركان ، احب الي من سيرك البطيء ما اقسى الاهل ايتها الروح ، عندما يجهلون .

ما اظلم البلاد عندما تكبلها القيود .

جسدي سجين ، يئن من الآلام ، لا يدري به الانام ، ذوبيني ايتها الروح ، واسحقيني ذرات ، واتركي وراءك همسات .. اهو الجن احتواها ام الرقى محتها ؟

واعصفي ايتها الروح ، وازعقي في وجوههم قولي لهم : خسئتم ، انتم الجن ، وانتم الرقى ، انتم في جهل لا تدرون .

... انفض عنك الغيوم ، وخذ قيثارا جديدا الى المروج ، هدهد ، ناد السعالي وبنات السماء .

مزق الصخور باناملك ، وجرجر الاوتار من السنديان ، من قلب السنديان .

واصنع قيثارك الجديد ، واطليه من الندى الاخضر ، رتل انغامك ، رآت بجديد .

مللنا الماضي ، مللنا القديم .

لم عطشان وفي اعماقك نداءات ، وفي المروج كل قشيب .

*

●

... قال : كن .

فكان الوجود .

ولم اكن انا ، لانني لا استطيع ان اقول كن ...

ايها التمثال الرابض في مرسمي ، متى انتهي من نحتك ، فتنجلي ؟

متى ارفع ازميلي الازلي ، فاقول كن ...

فاكون وتكون ... ويكون العالم ؟

ارى اخطاء تتراكم على جبلتك ، والكمال عنك بعيد .

اراك مشوها ، اراك شريرا . انت ممسوخ كالانسان ايها التمثال .

لم تنمد يدك الضخمة الى التراب ؟

اتريد تقليدي ؟



انت حقير ، وفي عينيك الجهل .

القيت عليك مسحة من السلام ، نزعت عنك لون السلام .

وحملت فأسا لتحطم اناملي التي جبلتك .

ايتها العنكبوت الواهية ، ايها البشع الدميم ، خذ لطمتي ، ساحطمك تحت قدمي ، سأدق اشلاءك ، واحرق ذراتك حتى لا تغذي زهور حديقتي .

*

... من القارورة ، انساب اوقيانوس اسحم ، غمرني موقعا على اوتاري حكايات ، ضاعت حكاية ، حكاية في سروبه الابدي ، ومن الغد عينان قلقتان ، تتأرجحان على اهداب الزمان ، اوجود انا يا عالمي ؟

ومن تلك الارجاء ، لفتني الاشباح ، كأنها شيء ولا شيء ، كأنها مشي واقف ، وهرولة جامدة ، كأنها رعد بلا صوت ، وبرق بلا نور ونار .

ابعاد ... ابعاد ، لا ارى الا ما ارى ، ولا اسمع الا ما اسمع ، وعندي قدم تذوب الاوهام ، فيتقلص الكون حبة في كفي .

اعمدة شاهقة تمشي الي من وراء الصحاري . كلها آماد لا تخاف ، تتخطى السماء .

*

... كرهت ثورتي الصامتة ، متى يا الهي تصمت الامي وآهاتي ؟ ... متى تقوم ثورتي صاخبة في العالم ، وتقول للجنود : تمردوا ، تمردوا ، لا تذهبوا الى ساحات الوغى ، كرهنا الدماء ... كرهنا الحروب ؟

تمردوا على رؤسائكم وثوروا عليهم ، وقاتلوا الوحوش في نفوسهم ، وانتصروا على وحوش الانسان .

لم القتال ؟ لم الدمار ؟

كرهنا رائحة الدماء ... كرهنا الحروب .

متى يا الهي يقوم العقل هاديا بدلا من السلاح ، والقلب راعيا بدلا عن السباب ؟

صبـي المـكوجي

* * *

من الف يوم اسود ..
وبلا ضحى . وبلا غد .
يأتي الى بابي فتى يرنو بهدب ارمد ..
ويقول في صوت جريح غائر متبدد :
هل من ثياب ؟
ثم يهمس في انحناء :
سيدي ..
ارجوك .. كوب الماء ..
اني منذ ساعات صدي ..
النار منذ الفجر جن راقص في الموقد ..
وعصا اميري ..
موعد يهذي وراء الموعد ..
يا سيدي ارجوك .. كوب الماء .. لا تتردد ! !
واجيبه ملء انتفاضاتي .. وملء توددي :
انا يا صغيري لا ارد الكوب ..
كل مواردي ..
للظامئين ..
لكل مقهور .. جريح .. مقعد ..
فانا اقول الشعر .
اغمس في الجراح قصائدي ..
لكنني احيا وراء الماء ..
خلف المشهد ..
ماذا تكنُّ لنا ؟
لشعبك ؟
للاله السيّد ؟
ماذا يعذّب ليلك المصلوب فوق المرقد ؟
الذكريات ؟
والف حلم ثائر متمرد ؟
ورؤى طفولات بعمرك في نعيم ارغد ؟
وانين فجرك خلف اسوار الضياع الملحد ؟
وعواء عاصفة تضجّ وراء باب مرعد ؟
ودعاء أمك تحت انقاض الظلام السرمدي ؟
وبكاء الف نجيمة لكما ؟
ونوح المقعد ؟

قل يا صغيري ..
قل ..
بكاؤك في عيون الفرقد ..
والنار لست تحسّها فردا ..
فقد اكلت يدي ..
هل تعرف الله الرحيم ؟
ودينه الحلو الندي ؟
ومحمدا ؟
والفادي الهادي ؟
وموسى المهتدي ؟
هل تعرف الصلوات ؟
هل عانقت روح المعبد ؟
وتغيم عيناه بلا دمع ..
كنبع جلمد ..
ويقول في همس جريح .. غائر .. متردد :
يا سيدي ..
الباحثون عن الرغيف الاسود
قد ينشدون الله خلف الدير ! !
خلف المسجد ! !
وبلا صدى .. يمضي .. الى لا غاية .. او مقصد ..
عريان .
يحمل الف ثوب راعش متجرد ..
وانا وراء الباب ..
خلف زجاجه المتجمد ..
ارنو الى كل البراعم من طفولات الغد ..
ارنو اليها في خطى هذا الصغير المجهد ..
واعود ..
كي اروي لكم شعري ..
ونبض توحدي ..
فالحرف مبكاي الوحيد ! !
ونائحي ! !
ومفردي ! !

القاهرة — **محمد أحمد العزب**



محمد حاج حسين

موضوع القصة

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

مما لا مشاحة فيه ان القصة القصيرة اصعب الفنون الادبية على الاطلاق ، فهي تتطلب موهبة فياضة ، وقدرة فائقة على التركيز ، وثقافة عميقة ، وخبرة واسعة في الحياة . ولهذا رأى كثير من النقاد الانكليز أن القاص لا يستطيع ان يكتب قصة جيدة قبل ان يبلغ الاربعين من عمره حتى ينضج فكره ، وتستوي له الخبرة الدقيقة في الحياة ، ومعرفة الشخصيات على حقيقتها ، واكتناه دقائق هذا الفن الموحي الذي ينفض امامنا جزءا من حياة في صفحات قليلة تتسق مع الواقع ، وتتألق بالفن الذي يتيح لها ان تتبلور في هذه الروعة التي نجد فيها نفوسنا ومآتينا ومجتمعنا .

وقد يكون موضوع القصة اهم عنصر يسهم في انجاحها، فاذا اتيح للقاص ان يتصيده ، ويبدع في جلوته كتب لفنه السمو .. فلا بدع اذا كان كتاب القصة البارعين يتقرون في كل مكان هذه الموضوعات الجذابة التي يستطيعون ان يجدوا فيها المستقى الخصب لفنهم ، فتورجنيف كان حريصا على تصيد الموضوعات لقصصه ، وكان دوما يحمل في جيبه دفترا صغيرا يقيد به ملاحظاته على الاشياء التي يراها ليستعين بها على اغناء موضوعات قصصه ليتوفر له الابداع . والحق ان القصصي الناجح لا يستمد موضوعاته من خياله ، وهو قابع وراء مكتبه ، يفتعل الاحداث ، ويزور الموضوعات ، بل يهيم وراء موضوعاته يقتنصها من الحياة ، ويحاول ان يبلو حلوها ومرها ، وافانينها العجيبة ، ويفتح اذنيه وعينيه وقلبه ووعيه حتى لهمسة العابرة لتتسق له الاجادة الفنية وحتى يتسنى له أن يجسد شخصياته من لحم ودم لا من ورق ، وافتعال هزيل .

وهذا سومرست موم يجوب الدنيا باحثا عن الموضوعات لقصصه المتعددة الالوان ، الزاخرة بالحياة . وكان له في المستعمرات الانكليزية بما فيها من متناقضات عجيبة ... الفيض لموضوعات قصصه يبرع في تزجيتها لنا ، فنعب منها ولا نرتوي . وقد اتيح لي مرة ان اجتمع اليه ، وانملى من عبقريته .. ولا ازال اذكر انه سألني : هل في بلدكم موضوعات للقصة؟ والواقع ان الجواب ليس بالعسير، ففي كل بلد توجد موضوعات يستطيع القاص ان يكتب فيها .. ولكن الحق ان هذه الموضوعات تختلف من بلد الى اخر حسب غنى البيئة او فقرها. فالبيئة الناضبة المحدودة والبيئة الزاخرة بالحياة الفنية بالالوان تعطيه الموضوعات الكثيرة المتنوعة بسخاء ، فما عليه الا ان يتصيدها ويبدع في تنسيقها وابرازها الى عالم الوجود .

والواقع ان القاص – في سورية – يجد عناء في ايجاد الموضوعات لاننا نعيش في مجتمع انفصالي لم تتغلغل فيه المراة بالقدر الكافي الذي يتيح للقصاصين ان يفهموها على حقيقتها . والمراة عنصر هام في القصة، ومن هنا تأتي اكثر موضوعات قصصنا مفتعلة لا تنسجم مع البيئة التي نحيا فيها، ولا نحس فيها تلك الخفقات التي تجعلها قريبة الى نفوسنا ، لصيقة بأرواحنا ، متفاعلة مع مجتمعنا، فأكثر القصاصين يفتعلون موضوعاتهم ، ويستمدونها من رؤوسهم ، ومن اخيلتهم ، فهم لا يعانونها معاناة صحيحة ، ولم يسبروا غورها ، ولهذا تأتي في اغلبها ، فجة غثة لا تضطرب فيها حياتنا ، ولا نجد فيها تلك الالوان التي تميز مجتمعنا وبيئتنا.

ومما لا شك فيه ان أكثر ادبائنا الذين يكتبون القصص يعيشون في دائرة ضيقة ، فهم في اصطراع عنيف مع لقمة العيش ، وادبهم لا يكفل لهم حتى الكفاف من العيش، ولهذا كان اكثر ما يكتبون على هامش حياتهم ، بعمنى انهم يكتبون في اوقات الفراغ القليلة التي يتيحها لهم عملهم المضني ، وغالبا ما يكتبون على حساب اعصابهم المرهقة ، فلا غرو اذا جاءت قصصنا متعثرة كابية ، فالفن مخاض ومشقة وجهد وكد ، والتفرغ لا مناص منه للقاص اذا اراد الاجادة الفنية ، فمن العبث ان يجود فنه ، ويبرع في تلوين قصصه وانتزاع موضوعاتها من الحياة اذا لم يتح له الوقت الكثير لمعاناتها ، والتفرغ لها حتى يستطيع ان يغوص في اعماق الحياة ، ويجرب كل شيء فيها ، وينجذب بكليته واعصابه وروحه لفنه ، يلاحظ ويراقب، ويساير المجتمع ، ويكتنه كل شيء حتى يترع عقله الباطن

في هذه الاحداث وتنضج في وعيه ولاوعيه لتجد ذات يوم طريقها الى الولادة والحياة . وستظل قصصنا تشكو الرهق والضعف حتى يتاح للكاتب ان يتفرغ الى فنه ، ولا يتاتى لنا هذا الا بعد ان تعم الثقافة ارجاء بلادنا العربية، ليتسنى للكاتب ان يبيع من مؤلفاته العدد الوافر الذي يتيح له الحياة المعقولة .

ان موضوع القصة يتطلب المزيد من التضحية من القاص ، فلا يكفي ان يتصوره في خياله ليأتي نابضا بالحياة ، فلا بد له ان يعيش في تجربته ، ويراها ويحسها بكل ما اوتي من قوة ، فالاندماج في الموضوع ليس بالامر الميسور لكل من امسك بالقلم ، فهو يتطلب موهبة فنية خصبة ، كما يتطلب جهدا وتضحية وفداء .. فالكاتب الفرنسي جوستاف فلوبير ، عندما دبج رائعته « مدام بوفاري » كان يسلخ اياما في كتابة بضع صفحات ، ولما اراد ان يصف ليلة قمراء في حقل كرنب انتظر حتى هل الخريف ، وذهب الى احد الحقول ، واستلقى فيه تداعبه اشعة القمر ، وناله برد شديد ، وتحمل المرض .. كل هذا في سبيل فنه ، ... ليغني موضوعه بالواقع .. وكذلك عندما انتحرت مدام بوفاري بالزرنيخ لم يكتف بالتخيل ليصف هذا المشهد ، بل تناول بعض الزرنيخ ليجعل الواقعية تنبض في وصفه ، وكاد يعرض نفسه للتهلكة .. ولكنه تحمل كل هذا في سبيل فنه . ومما لا شك فيه ان هذا العمل تضحية من الكاتب .. ولكن الفن اناني لا يسكب خمره في نفوس ابنائه الا اذا جنحوا الى التضحية ، وقدموا انفسهم قرابين على مذبحه .

وتمثل موضوعات القصة ـ دون تجربة صادقة ـ لا يتوفر الا لاولئك العباقرة الافذاذ الذين قلما تجود الانسانية بهم ، فشكسبير استطاع ان يمثل مختلف الموضوعات والعواطف في مسرحياته ، وابدع فيها ذلك الابداع الذي حدا بالنقاد الى القول : انه قطعة من الطبيعة وعت كل شيء .. فمن الطبيعي انه لم يجرب كل هذه الموضوعات، ولم يعها وعيا تاما ، ولكنه بما اوتي من عبقرية خالقة كان يتمثلها لتنثال عناصرها بدقة واحكام ، وكانه عاش في صميمها ، ورآها ولمسها وجربها . وليس من الميسور ان يكون كل اديب شكسبير .. لهذا كان لا بد له من الاخلاص والداب والتجربة والدراسة والتفرغ ليلتقط الموضوعات الفنية والصحيحة لقصصه .

والموضوع القصصي الناجح لا بد ان يمثل البيئة التي نبع فيها ، فيجب الا يكون غريبا عنها ، فأقوى الموضوعات القصصية واقمنها بالخلود والحياة تلك التي تستلهم بيئتها ، حتى لا تبدو غريبة عنها ليس فيها سوى الاسماء والاماكن التي تدل عليها ، بل يجب ان يمثل روحها الخاصة التي تميزها عن غيرها ... واعني في هذا ان تتوفر لها الالوان المحلية التي تجعل القارىء يحبها ، ويقترب منها لانها تبصره بالامور التي عرفها واحبها وآمن بها . وهذا اللون المحلي هو الذي يتيح للقصة معرفة شياتها وجنسيتها، واذا اقفرت منه اصبحت كمن ليس له جنسية ، حائرة بائرة تائهة في ضباب كثيف . ومن الطبيعي انه متى توفرت لموضوعات القصة الالوان المحلية استطاعت ان تطفر لتكون عالمية لانها مستمدة من المجتمع ، والنفس الانسانية، وهي هي في مختلف عواطفها واهوائها في كل مكان وزمان، فالانسان يشترك مع الانسان في اهوائه ونزعاته واحاسيسه، فمتى استطاع القاص ان يبرع في موضوعاته ، واراق عليها فنه ، وجد فيها كل انسان عواطفه واحاسيسه ، فاقبل عليها لانها تبصره بنفسه ، وتزيده معرفة بها .

ولعل اهم عنصر في موضوع القصة التي يدبجها القاص الا يكون غريبا عنه ، فيجب ان يكتب اشياء عرفها ، وعاشها، وتنفسها لتكون معقولة ، قريبة الى النفس . وحياة كل انسان مهما ضؤلت وتفهت فيها موضوع قصصي جذاب مغر اذا استطاع الكاتب ان يسرده باخلاص وصدق. ومنذ عدة سنوات كتب معلم تركي بسيط في احدى القرى النائية قصة عن حياته في تلك القرية ، وابدع في وصف حياته بدقة وواقعية واخلاص ، وسرعان ما اصبح هذا الكتاب عالميا ترجم الى شتى اللغات ، واقبل عليه القراء في شغف ونهم ، لان هذا المعلم البسيط اصغى باخلاص الى نداء بيئته الماحلة ، ووصفها بدقة ، فجاءت نابضة بالحياة ، مفعمة بالصدق ، والصدق ركيزة التفوق في كل فن . وفي مقدور كل انسان ان يحذو حذو هذا المعلم ، وانا ضامن له بانه سيجد المرتع الخصب في حياته الخاصة على شريطة ان يمثلها في صدق واخلاص . اما الموضوعات التي يفتعلها الكاتب دون ان يحسها ، ويعرفها معرفة وثيقة ، فلا بد ان تموت ، وهي في دولاب المطبعة . لانها نائية عن الحقيقة . وجمال الفن في بساطته ، وبعده عن التكلف ، والخلق الفني لا يتأتى للكاتب الا اذا كانت الموضوعات التي يكتبها صادقة حية ، ولو جنح كل قاص لاستلهام موضوعاته من حياته الخاصة في صدق واخلاص، لاستطعنا ان نثب بهذا الفن الذي يكبو في بلادنا ، وكثر ادعياؤه كثرة اضاعت معه القيم الحقيقية .

في السنوات الماضية سرت في قصصنا موجة الواقعية الاشتراكية ، واتجهت اكثر ما اتجهت الى وصف حياة الفقراء ، وبساطة الفقراء ، وطيبة قلوبهم . ومما لا شك فيه ان هذه الموضوعات جذابة وضرورية وحتمية ، وعلى القاص معالجتها ، بيد انني اشترط امرا واحدا ، وذلك ان يكون قد عاناها وجربها وعرفها حتى تأتي بعيدة عن التزوير والافتعال .. ولكن ـ لسوء الحظ ـ اكثر القصص التي كتبت استجابة لهذه الواقعية الاشتراكية كانت متعثرة لا يستطيع القارىء ان يتجاوب معها لانها لم تنبع من معين الصدق والحقيقة ، فاكثرها كان مفتعلا تكلفه الكاتب واندفع اليه منساقا مع هذا النداء الجميل : الفن للحياة ، كأن هنالك فنا لغير الحياة . والواقع ان كل فن ـ

تقديس !

من مجموعة للشاعر تصدر قريبا

*

أقــول لمخدعهـا تستفيــق ... وتغفــو به وشوشات الهــوى
هنـا تـرك الكـأس ظمـآن ، لا الكأس جفت ولا هو منها ارتوى !
وحـاد عن الروض لا عطـره ... تـلاشى ولا الورد فيـه ذوى
فيـا مخـدع الحـب لا للدلال ... ولا للمـلال طلبـت النـوى
ولكـن بسـاط علـى طيبـه ... تخيّـرت ان ينطـوي فانطوى !

خوف !

*

عاطيـت عينيـك حديـث الهوى ... فتهت من عينيك في مبهمات
لمحـت شيئـا فيهما قـال لـي ... أقصر، وشيئا قال : بل خذ وهات!
جئت ربيعا غب جـدب سرى ، ... وكفـه السمحة مـلأى هبـات
لا تسالـي ان اتمنـى وان ... كنت لدى دنيا مـن الطيّبات
عفـت الامانـي انني خفتهـا ... كم عاش قلبـي بالاماني ومات !

رئيف خوري

مهما كانت موضوعاته ــ هو للحياة متى كان صحيحا فهو يغنيها ، ويمدها بروافد جديدة تضيء طريقها ، وتدفعها الى التقدم . ولهذا يجب الا يحصر القاص موضوعاته في نطاق ضيق ليظهر تقدميته لتطبل له فئة من الناس وتزمر . وحمل النقاد على موبسان ، واتهموه بانه لا يكتب للحياة ، واجابهم بأنه يكتب اشياء جميلة احسها وعرفها. وهذا جانب الصدق في الفن ، والتزوير فيه ان يكتب اشياء لا تمت اليه بصلة ، ولم يحسهـا . وليـس من الضروري ان يلتزم القاص موضوعات معينة متساوقا مع مذهبه الاجتماعي والسياسي ، فميدان الحياة امامه فياح، وكلما نوع موضوعاته توفـر له الابـداع ، فليـس من الضروري ان يكرر القاص نفسه ، وان كانت حتمية الامور تقتضيه ان يكررها كثيرا .. ولكن اذا استطاع ان يتفنن في تلوين موضوعاته ، سمق الى الذروة الفنية ، حلم كل فنان ، وامل كل كاتب .

وكثيرا ما نجد انفسنا ازاء قصص لا نستطيع ان نكمل قراءتها ، لافتقارها الى عنصر التشويق . ولا اشك ان قدرة القاص على جذب انتباه القارىء تعود بالدرجة الاولى الى موضوع قصته الذي ينتقيه ، فالتشويق لا يتأتـى للقاص الا اذا كان الموضوع حيا في نفسه ، يتمثله بدقائقه، فينقلها الى جوه ، ونعيش معه ، ونسايره ، ونحبس انفاسنا بانتظار النتيجة .

ان نجاح القاص بالدرجة الاولى وقف على حسن تصيده للموضوع ، ومقدرته في سكبه ، وخبرته التامة فيه .. حتى يبدو لنا قطعة من نفسنا ، ومرآة تنعكس فيها الصور الملونة لمجتمعنا .. وبالاختصار .. ان يجسم حياتنا .. ولا يتوفر هذا الا لاولئك الذين منحهم الله الموهبة .. وافنوا حياتهم في الكد وراء الجمال والحق والخير .

طرطوس ... محمد حاج حسين



محمد رجب البيومي

اشعب الطفيلي مع الوليد بن يزيد

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

اشرقت الشمس وضيئة زاهية ، ونظر الوليد بن يزيد الى السماء فوجدها صافية رائعة لا تمر بها غيمة تؤذن بعارض! فدعا رفاقه من ندماء الشراب ، واصدقاء الطرب والبهجة، وامر ان يسيروا جميعا الى منزلهم الاليق في غوطة دمشق، حيث يتجلى الربيع الناضر في اجمل زينته، فيرف الشجر المياس محملا بأشهى الثمار ، ويهب النسيم السكران منتشيا بسلافة الزهور ، وتترقرق الجداول شاكية مداعبات الهواء ومباغتات الريح !! وقد صفت الارائك مكسوة بالمخمل الناعم ، ومطعّمة بفصوص الجواهر والياقوت ! ! واخذ المطربون اماكنهم الصادحة ، ليبعثوا هواتف الاشجان ، ويثيروا كوامن الوجدان بما ينشدون ، ويلحنون ، وانهم لفي انسهم الناعم ، ولهوهم الانيس ، وقد تحلق حرس الخلافة حول المجلس الحافل يمنع شذاذ الافاق من السابلة ، وغوغاء المارة من الجائلين ، اذ قدم شيخ زري الهيئة مضطرب الخلقة ، قذر الملبس ، وطلب ان يستأذن له على امير المؤمنين .

قال صاحب الحرس : ثكلتك امك يا اشعب ، أمثلك في هوان قدره ، وقبح منظره ، ورثاثة ثوبه ، يطمع ان يصل الى مجلس الخليفة ، وقد حفل بكل زاهر الطلعة ، رائع الرونق من شباب امية ، وغطارفة مروان !

فتبسم اشعب في استخفاف وقال : علم الله ما كنت ذا رغبة في رؤية الغوطة اليوم لولا ان امير المؤمنين حفظه الله قد ارسل من يدعوني الى هذا المجلس في الصباح ، ولولا طاعة الخليفة ما تركت المنزل ، وانا كما ترى ظاهر الاعياء متضح السقام ! !

فهز صاحب الحرس راسه وقال في تخابث : اتريد ان تخدعني عن تطفلك يا أشعب بزخرف من القول حتى آتي امير المؤمنين فأعلمه بمقدمك ، وقد لا تكون في حسابه ، فيأذن متفضلا بدخولك ، لتصبح سخرية العابث ، وضحكة الهازئين ! ! اظننته عرسا حافلا لسوقيّ خامل من افناء دمشق ، ونسيت عظمة الخلافة ، وجلال الوليد !

فقال اشعب في جد حازم : لقد صارحتك بالحقيقة ، واعذرتك اذ اخبرتك ، فاذا حاسبني امير المؤمنين فعليك الملامة والتثريب !

سكت صاحب الحرس كالمفكر اولا . . . ثم ذهب بين التصديق والتكذيب الى مجلس الوليد وقال في انحناءة مهذبة ، أشعب يطلب المثول يا امير المؤمنين .

فتضاحك القوم عابثين ، ووقف شاب من الندماء ليقول للخليفة : ناشدتك الله الا صرفت عنا هذا الشره المبطان !! فليس اليوم للسفلة المتبطلين ! !

فضحك الوليد في استهتار ، واخذ كأسا مترعة فصبها مرة واحدة في حلقه ، وقال مخاطبا نديمه في استخفاف مفرط ـ تعوّده منه خلطاؤه :

كلنا شره مبطان لا اشعب وحده ، نعبد الطعام والشراب، ونحسب لهما الف حساب ! !

فرد نديم يتزلف : معاذ الله ان يكون امير المؤمنين شرها مبطانا ! وهو غصن باسق من دوحة مروان ! ونبعة قوية من ارومة امية ! وما في اجداده وابائه الا عف مترفع ! لا يخضع لشهوة بطن ، او ينحدر الى نهمة امعاء .

فضحك الوليد وتمايل .. ثم نظر الى صاحبه في استهزاء وبدأ حديثه كالساخر ما هذا الذي تقول ! أخرجت معي الى الغوطة للمرح والصراحة أم للتكلف والرياء ! ! لسنا الان في قصر الخلافة نستقبل الوفود ونقضي المراسيم ! ولكننا في خلوتنا المتحللة نرفع الهيبة وننطق بالصريح كما يجيء ! ! من قال ان ابائي من امية قد عفوا عن الطعام والشراب ! ولديّ من نوادرهم الاعاجيب ! ثم التفت الى جليسه الايمن وقال في سخرية : أتدري لماذا يصنع الصائمون الكنافة في دمشق ، لقد كان معاوية بن ابي سفيان لا يحتمل رمضان ! فأخذ يبحث عن غذاء دسم يلصق بأحشائه فترة طويلة ! فهداه بعض الزائرين من القسطنطينية الى الكنافة . فصنعها مثقلة بالسمن واللوز والسكر ! وتناقلها عنه الناس في كل مكان ، حتى اشتهر بها رمضان في ربوع الاقطار ! !

فتبسم القوم في ادب ، ولم ينطقوا بشيء اجلالا لمعاوية وللوليد ! !

غير ان الخليفة يدور ببصره فيرى الاحتشام والتحرج ، فيصيح : ما لي ارى صمتا موحشا كأننا في مقبرة لا في

حديقة ! ! الم تعجبكم هذه النادرة ! سأروي لكم غيرها .. ثم تناول كأسا ثانية وصبها في جوفه ، واخذ يقول :

اقبل رجل الى سليمان بن عبد الملك وهو بدابق ومعه سلتان مليئتا ببيض وتين ، فقال لرفقائه قشروا قشروا وجعل يأكل بيضة بيضة وتينة تينة حتى فرغ من السلتين ثم اتوه بقصعة مليئة مخا بسكر ، فانكب عليها حتى مرض ومات بعد اسبوع صريع الطعام ! !

ونظر الخليفة الى ندمائه فلم ير من يضحك ! بل سمع قائلا يقول في ادب : رحم الله سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين ! !

فصاح الوليد تترحمون عليه امامي ! ولو بعدت قليلا لهزئتم به ! لكم من منافقين ، ثم تناول كأسا ثالثة فشربها دفعة واحدة وقال : سأطيل احتشامكم ، واروي النادرة الثالثة ! !

خرج هشام بن عبد الملك للتنزه ذات يوم فرأى راهبا يتعبّد في بستان ، فدخل عليه مفاجئا واخذ الراهب يقدم اليه من فاكهة الحديقة ما يختار عادة للخلفاء ! وهشام يأتي على كل شيء فما يدع ! ثم قال للراهب : اتبيعني هذا البستان ؟ فسكت الراهب ولم يجب ! فقال هشام ! ويحك لم لا تجيبني ! فقال الراهب : وددت لو مات الناس جميعا غيرك يا امير المؤمنين ، فتعجب هشام وسأل : لماذا تود ذلك ؟ فأجاب الراهب في ملاطفة : كيلا يشاركك احد في هذه الثمار ! !

ثم ضحك الوليد ضحكة عالية وتابع النظر الى ندمائه فوجدهم يبتسمون ولا يتكلمون فجذب ثوب احدهم وقال : بحياتي الا عقّبت على ما اقول .

فتبسم الجليس في لطف وقال : علمت ان الحجّاج قد أكل اربعا وثمانين لقمة في كل لقمة رغيف من خبز ! وفي كل رغيف ملء كفه من السمك الشهي ! !

فضحك السامعون ساخرين : واخذوا يتندرون على الحجاج ويقذفونه بقوارص التهم ولواذع الشنائع !

فأطال الخليفة اليهم النظر وصاح : سحقا لريائكم القبيح ! احين تركنا بني امية تضحكون وتتندرون !! ثم رفع راسه لصاحب حرسه وقد طال وقوفه فلم يؤذن له منذ جاء ــ وقال : ادع اشعب ولا تبطىء ! فليس احد افضل من احد ، كلنا شره مبطان ! !

مضت لحظات وقدم الطفيلي الشيخ مبتسما ، يثب في سيره ، ويميل بمنكبه متضالعا ، ليجذب اليه الانظار ، ثم مثل بين يدي الخليفة في ارتعاش متكلف ليضحكه ! فاحضر كرسيا من الخشب واجلسه عليه في وضع متقابل كي يشهد الحاضرون ! وقال الوليد ساخرا ، تحدث الينا يا اشعب ، فانت راوية اليوم ، وليس لنا غير الاستماع !

فأخذ اشعب يتضاءل وينكمش في استكانة خادعة وقال في ذلة : اعزك الله يا امير المؤمنين ، انا جوعان سغبان ولا يحسن حديث الخلفاء شيخ تتلوى امعاؤه فما تستريح !!

فقال الوليد سائلا في عبث : وهبك لم تجدنا الان ! فاين كنت تتناول الطعام ؟ فرد اشعب في بديهة سريعة : كيف وقد رأيت بالامس في منامي انك ستجلس اليوم ، ورؤياي صادقة كرؤيا الانبياء !!

فتضاحك القوم في مرح . وقال الخليفة مستهترا : رؤياك كرؤيا الانبياء يا اشعب ، لو كان الامر كذلك ، ما تركت قراءة القرآن في المساجد ، واخذت تتتبع الملاهي ليستهزىء بك الناس !

فاطرق اشعب متصنعا العبوس .. ثم رفع راسه وقال : معاذ الله يا امير المؤمنين ان اترك القرآن فانا لا ازال ارتله صباح مساء .

فالتفت الخليفة الى ندمائه وقال : شهدتم عليه ، سأمتحنه الان ، فارى مقدار ما يحفظ من السور والآيات .

ثم اتجه الى اشعب وقال في جد : اي سورة تعجبك في القرآن ؟

فرد اشعب متسرعا : المائدة يا امير المؤمنين ، فتجاهل الخليفة تعريض صاحبه وسأل واي آية تختار ؟ فرد اشعب دون ابطاء : ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ! !

فضحك السامعون ، وتابع الخليفة يسأل ثم ماذا من الآيات يا اشعب ؟ فقال : آتنا غداءنا ، فقال الوليد قل غيرها فرد اشعب : كلوا من طيبات رزقناكم ، فتطلع اليه الخليفة في جد وصاح : اختر غير آيات الطعام ! فقال اشعب على الفور : ادخلوها بسلام آمنين ! !

فسأل الوليد أليس غيرها ؟ فقال اشعب : وما هم منها بمخرجين ، فنظر الخليفة الى القوم وقال في ابتسام : حيرتني بديهة هذا الخبيث !

فقال مستمع اريب : ان اشعب قد راجع القرآن بعناية ليلتقط منه ما يريد : فأجابته الان معدة مهيأة ! وليست من باب الارتجال !

فضحك اشعب وقال صدقت يا هذا ، لاني رأيت بالامس في منامي انكم ستمتحنونني في القرآن فأخذت هذه الآيات !

فضحك القوم مسرورين ! ونظر الوليد الى المتكلم فرآه ساكتا لا ينطق ولا يضحك ! فقال له لست كفؤا لحوار اشعب ! هذا امير المتطفلين !

فرفع الشيخ اصبعه يطلب الاذن في تخوف مضحك ثم قال : لست امير المتطفلين يا مولاي هناك مئات غيري ممن تبوءوا امارة التطفل عن جهاد عظيم !

فزجره الخليفة قائلا : صه يا دجال ! فما نعرف من القوم اميرا سواك .

فهز اشعب راسه هزة مضحكة .. وقال في احتيال ان التطفل لم ينشأ في لغة العرب الا منتسبا الى طفيل بن زلال الكوفي ! أأكون اميرا عليه ! واسمه اولى بالتقديم!

قولوا اذن امير الاشعبين ، فاكون الامير !
فضحك الخليفة وقال لجلسائه : لحاه الله ، لم يذهب بعقله الشراب ، هو يتحدث بمنطق سديد ثم اتجه الى اشعب يسأل : وما بلغ من تطفل صاحبك طفيل بن زلال؟
فتربع الشيخ في مجلسه دون ان يخلع خفه الرثة ! فاثار عاصفة هازئة من الضحك ثم تصنع الوقار وقال متخذا سمة الخطيب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، استمعوا عباد الله .

لقد كان طفيل بن زلال اعرابيا من بني هلال ، وكان اذا سمع ان قوما لديهم دعوة اتاهم فاكل طعامهم دون استئذان ، وقد اوصى ابنه عبد الحميد في علقه التي مات بها ، فقال له يا بني اذا دخلت عرسا فلا تتلفت تلفت المريب ، وتخير المجلس اللائق وان كان العرس كثير الزحام فمر وانه وامض ولا تنظر في عيون الناس ، ليظن اهل المراة انك من اهل الرجل ، ويظن اهل الرجل انك من اهل المراة ، واذا كان البواب غليظا جافيا ، فابدا به ومره وانهه في غير تعنيف ولا اذلال ! !

فتمايل القوم ضاحكين ، واستلقى الوليد على كرسيه من الطرب ، ثم قال في استهزاء ! وهل طبقت انت هذه الوصية يا شيخ !

فهز اشعب راسه في تمايل وقال ان الناس يا امير المؤمنين ماكرون خادعون ، وقد نظروا الى ذلك فلم يعودوا يجهلون كل متطفل محترف ! واني لاقابلهم بالحيلة والخداع لابلغ منهم بعض ما اريد فصاح الوليد في ترنح ارني بعض خداعك ايها المحتال ؟

فوقف اشعب في مكانه وقال انا جائع يا مولاي ! والجائع لا يتقن الحديث .

فزجره الوليد جادا ثم قال في استخفاف : هذا خداع عملي يا شيخ ! ونحن لا نريد ان تخدعنا نحن ولكن ارنا كيف تخدع الناس !

فانكمش الشيخ في مكانه كالحذر الخائف وقال وهو يتصنع الاضطراب والفزع والقوم يضحكون في عبث واستخفاف .

لقد دعا – يا امير المؤمنين – رجل من اهل المدينة نفرا من خلانه الى مأدبة حيتان وبينما هم يأكلون اذ توكلت على الله ودخلت فقال احدهم هامسا : وقد سمعته بمعونة الله وتوفيقه ان من شأن اشعب ان يعمد الى اجل الطعام فاجعلوا كبار هذه الحيتان في آنية بعيدة ويأكل معنا الصغار ففعلوا ، ثم قدمت فقالوا : ما رأيك في الحيتان ؟ قلت والله ان لي عليها لغضبا شديدا وحنقا لان ابي رحمه الله مات في البحر واكلته الحيتان ! فقالوا دونك وكل ما تشاء لتأخذ بثار ابيك فجلست ومددت يدي الى حوت صغير منها ، ووضعته عند اذني ، واتجهت بنظري الى الآنية ذات الحيتان الكبيرة ، وقلت في سرعة واهتمام اتدرون ما يقول لي هذا الحوت ! فقالوا في تعجب : لا ندري شيئا قلت يقول في اخلاص انه لم يحضر موت ابي ولم يدركه لان سنه تصغر عن ذلك وقال لي عليك بتلك الكبار في زاوية البيت لانها ادركت اباك فاكلته! فضحك القوم وعلموا اني عرفت المكيدة وكشفتها عن طريق الاحتيال فضحك الوليد وقال قصة طريفة دون جدال : لماذا لا تشتغل بالسياسة لتخادع الناس !

فرد اشعب في ادب العفو يا امير المؤمنين ! ان السياسة فوق كل احتيال !

وجاء الخادم ومعه اطباق الفاكهة ، فوضع امام كل نديم طبقه الخاص ، وحين سلم الى اشعب طبقه ، افرغه في ثوبه ، وستره بركبته ، وقال في فزع : واذلاه لقد اعطاني الطبق فارغا يا امير المؤمنين فرد الوليد ضاحكا : سل ركبتك يا اشعب فقد اكلت الطبق وخدعتك ! اعطه غيره يا غلام فهرع اشعب ونزع الطبق متعجلا وقال في استكانة مضحكة : نفذت امر امير المؤمنين .

ومضى القوم يأكلون ومنهم من يقذف بالقشرة في وجه اشعب ، فيفتح فمه في حذق ليلتقط ما يقذف ! وقد بلغت مهارته في ذلك حدا رفه عن الحاضرين ، واضحكهم سرورا ونشوة ! حتى قال الوليد لجلسائه ، ويحكم : كنتم تريدون ان تمنعوا عنا اشعب ، ولو منع عنا وجهه اليوم لخسرنا الشيء الكثير !

فوقف اشعب من مجلسه ، ثم انحنى راكعا ، وهم بالسجود ! فقال الوليد : صه يا احمق ! ستدنس الفوطة ان لمست ارضها الناضرة بجبهتك الشوهاء ! حذار من السجود !

فتراجع اشعب في استكانة وقال : امرك يا سيدي العظيم !

فصاح بعض الندماء ! لا تتعد طورك ايها الشيخ ! لم نردك هنا عابدا ساجدا ولكن نريدك قصاصا مضحكا ! فهات نادرة اخرى مما دبره احتيالك اللئيم .. ثم توجه بنظره الى الوليد وقال في ادب ان اذن امير المؤمنين فهز الوليد راسه وقال : اذنت فهات يا شيخ ، واوجز الحديث .

فعاد اشعب الى كرسيه الخشبي ، وتربع عليه في حركة عابثة ، وهم بالكلام ، فمسح شفتيه ، ووضع يده على جبهته كمن يتذكر : ثم قال في تؤدة هادئة .

لقد اودعت يا امير المؤمنين عندي امراة من جاراتي دينارا ، فلما اصبح الصباح نظرت اليه فوجدته قد ولد درهما ، فذهبت الى صاحبته واعطيتها الدينار والدرهم ، وقلت في صدق : ان دينارك قد ولد لدي ! وطفله من حقك فخذي الدرهم ، ففرحت فرحا شديدا ، وقالت : دعه عندك حتى يلد من جديد . وفي اليوم الثاني وجدت الدينار قد ولد الدرهم فبعثته اليها فقبلته في سرور ، وفي اليوم الثالث مات الدينار في الوضع ، فاعلمت صاحبته فصرخت وناحت وشكت امري للناس فوقفوا

معها ! حتى تعجبت وقلت : اتصدق هذه المراة ان الدينار يلد ولا تصدق انه يموت ! ثم نظر في مسكنة منكسرة وقال :

هذا بعض ما اكابد يا امير المؤمنين !

فابتسم الوليد ضاحكا وقال : انت بحق معذور يا اشعب مع هؤلاء المحتالين .. فصفق الشيخ في طرب ، وقال في لهجة مضحكة — وقد غض — ملامح وجهه فائار العبث والاستهزاء : الحمد لله ، لقد نصرني امير المؤمنين .

* * *

ودنا موعد الغذاء ففاحت رائحة الشواء حتى اختلطت بانفاس الزهر والياسمين ، فنهض اشعب من مكانه مدهوشا ، وقال في جد متكلف : اين حبيبي العزيز ؟ !

فسأل الوليد في عبث : وهل عرفت الحب ايها الشيخ العجوز !

فاسرع الشيخ يقول : علم الله ما لمحت مائدة على بعد ، الا عشقت ما عليها دون ان اراه !

فزجره الخليفة قائلا في جد : اجب عن السؤال ، والا قطعت رقبتك العجفاء ! هل عرفت الحب ؟ فجعل اشعب يدخل في نفسه منكمشا وقال متباكيا في لهجة مضحكة: عرفته يا امير المؤمنين فقد احببت جارية بالمدينة ذات جمال ودلال !

فتهكم بعض الندماء يقول : احببتها بوجهك هذا يا اشعب ؟ فقال الوليد : ولم ؟ لكل ساقطة لاقطة ، ثم توجه الى الشيخ يقول : وماذا اهديت الى حبيبتك ايها العاشق العميد ! ؟

فقال اشعب — وقد نظر نظرة اتسعت بها حدقتاه : كان في اصبعي خاتم فطلبته ، وقالت انها ستذكرني به ، فقلت لها في صراحة مفحمة ! اذ كان الخاتم للذكرى فاذكري انك سالتنيه ، ومنعتك اياه !

فقال الوليد في سخرية : الحب لا يعرف البخل ايها الشره الضنين ، فانت اذن لم تحب ، وساحرمك من الغذاء ! جزاء كذبتك البلقاء !

فصرخ اشعب فزعا : تحرمني من الغذاء ! ساقتل نفسي يا امير المؤمنين !

فاخذ القوم يتضاحكون متغامزين ، وقال قائلهم في سخرية : افعل بنفسك ما تشاء ، فدمك هين على امير المؤمنين !

فتراجع اشعب وقد تأمل الوجوه في تطلع ، وقال لمن يحدثه : لقد نسيت ايها الذكي — كيف اقتل نفسي ، انني سأسير معكم الى الخوان وآكل واخالف امر الخليفة، فيحكم علي بالقتل والقى الله شبعان ريان ! ونعم الممات !

فتبسم القوم فرحين .. ولكن الوليد يضحك قائلا : لن تذهب الى الطعام وبيننا وبينه هذا النهر المتدفق ، لاننا سنركب اليه الزوارق ولا يحملك النوتي ، وترانا على الشاطىء من بعيد ناكل من الموائد الحافلة ! وانت متحسر حزين !!

فاظهر الشيخ مزيدا من الجد ، وقال : لقد ذكرني امير المؤمنين بحادثة شبيهة لما يقول كابدت حسراتها منذ حين! فعبس الخليفة عبسة غاضبة ، وقال معنفا : وهل خطر ذلك على ذهن قبلي ايها المجنون ؟

فتضعضع اشعب ونظر في توسل وقال : انها حادثة شبيهة فقط ، وليست بعينها ، فقد رايت ذات ليلة في طريقي عرسا من الاعراس، فدخلت اليه في لهفة، وعرفني صاحب العرس ، فاحتال علي ، واحضر سلما ، وقال في لهجة مؤدبة : الى الاعلى ايها السيد ، فارتقيت الى السطح، وظننت المدعوين سيصعدون ، ولكنه حمل السلم بعد صعودي وحدي ! واحضر الطعام فجعل القوم يأكلون ، وانا اصرخ عليهم فوق السطح ولا من سميع !

فابتسم الشيخ في دهاء وقال : محال يا امير المؤمنين ، فذلك صعلوك حقير ، اما انت فامير المؤمنين بن امير المؤمنين بن امير المؤمنين ! لقد رايت اجدادك جميعا يا سيدي الكبير ، واني لاستشفع اليك الان بمقامهم الخطير .

فتراجع الخليفة وقد اخذته اريحيته لما سمع من حديث ذويه ! ثم نظر الى جلسائه يقول : لقد استشفع الشيخ بآبائي فماذا تقولون ؟

فقال نديم يتظرف : هبه كلب اهل الكهف يا امير المؤمنين ، يتبعهم الى الجنة ولا يحجب عنه نعيم !

فصاح اشعب نعم الكلب اشعب اذا كان صاحبه امير المؤمنين !

ونظر الجمع فرأوا الزوارق تدنوا الى شاطئهم النضير ! فخفوا مسرورين ، ومعهم مضحكهم الانيس اشعب ، وقد حلم بمائدة حافلة وترقب في عجل تحقيق حلمه اللذيذ .

الفيوم **محمد رجب البيومي**

قبل أعوام انطوت ، كان حينا يشبه الثكنة ، وكان الشباب والصبيان يلتقون في الساحة عندما ينفخ بوق الصباح ، فيؤخذ التفقد ثم نتجه شطر البحر .

وهذه الحادثة كانت تتكرر خلال ايام الصيف .. نذهب جماعة ونعود كذلك ، لانه لم يكن يسمح لاحدنا ان يذهب منفردا فثمة مخاطر كثيرة تنتظر المتمرد .

كان ابو فهد شيخ حارتنا عملاق في العقد الخامس ، بارز العضلات حاد النظر في جبهته اثر جرح عميق، ابتدأ مهرب تبغ ، وتقاعد عندما اصبح يملك معمل حدادة يدوية ، ويقال انه صرع بغلا بكفه ، ودوخ الدرك بمهارته ، وانتصر على سبعة لصوص حاولوا سلبه ..

قال لي مرة وانا الموقن بقدرته وجبروته :

— تمنيت ان يكون لي ولد مثلك

وشرحت جدتي الامر آسفة :

— لو لم تمت زوجه قبل الاوان لكان سمى طفله فهدا ..

اما جدتي فكانت تعرف كيف تؤثر علي ، وقد حاولت كثيرا ان احدثها عن احاسيسي ولكنها لم تصغ الا لافكارها ... في ذاكرتي جعبة من الحكايا التي تسردها علي كلما مرضت او عاكسني النوم او اذنبت .. وكلما اسمعتني قصة انفعل بها فاشعر بالغم ، ان صوتها ينسل الى اذني كصوت ربابة ثكلى .

— « كان يعيش في جبل الريحان حطاب عجوز ، وكانت حياته هادئة الى ان دخلتها جنية الغابة وكانت جميلة وفتية ، فتعلق العجوز بها ، واصبح لا يهتم الا بمطاردتها والتزود برؤياها .. وكادت زوجه تموت جوعا عندما سألته مرة :

— لماذا لا تحطب .. انا لم اذق الطعام منذ اسبوع

ولم يفتح اذنيه لها ، انما لحق الجنية التي لم تعد تظهر له الا في راس الجبل .. وماتت زوجه في اليوم التالي .. ولكنه لم يأبه بها ، بل ظل يتسلق الجبل حتى وصل الى القمة ، حيث الجنية التي بهرته .

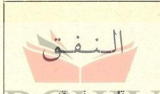
وما ان حازاها حتى اختفت ، وكان الاعياء قد اصابه ، وفكر ربما هربت الى السماء » وكانت تمر امامه غيمة بيضاء فصعد اليها ، ولكنه لم يفطن ان الغيم بخار فسقط الى الارض من اعلى الجبل » .

وتقف عند هذا الحد ، ثم تطرح عليّ سؤالا مفاجئا :

— ماذا تعمل اذا ماتت امك أيها الشقي ؟

ويفاجئني الامر فأرد على الفور :

— اموت . واختفي تحت اللحاف، وابكي بصمت بعد ان اقرر ان لا



بقلم يوسف مقدسي

اغضب والدتي ثانية .

وفي اليوم التالي اتجنب الحديث مع فتنة عن امها التي تحبها كثيرا .. لانني اخاف ان ينزلق لساني مرة فانقل لها حديث جدتي .

كثيرا ما سمعت والدها يقول لها :

— فتنة لقد اتيت بأمك من البحر .. وعندما ولدتك عادت اليه ثانية .

وتسألني فتنة :

— لماذا لا تأخذني اليها؟ انا مشتاقة لرؤياها ..

والوذ بالصمت... الصمت وحده كان معيني في مثل هذا الموقف ، ولكن اي مهرب هذا ؟ وددت مرارا ان اقول لها :



— فتنة ماتت امك عندما رأيت النور لاول وهلة ، وانا حزين لانها ماتت ..

او اطيح بالفانوس السحري الذي يغلف حياتنا :

— لا تصدقي اباك يا فتنة .. ليست امك ملكة البحر .. لقد ماتت ولن تعود ثانية ، ان البشر يموتون لان الله يريد ذلك . واذا لم يفعل فالارض تضيق بهم . ان الله كما قالت جدتي حكيم جدا لانه يستطيع تدبير الامور .. وعلى الناس ان لا يعقدوا حياتهم فلكل عقدة حلال ..

ولكني كنت ملزما بالكذب عندما تصمم ان تأخذ الجواب لاني لم ارغب برؤيتها حزينة .

— ذات يوم تأتي وتأخذك .. انت كالسنونو الصغيرة التي تركتها امها مكرهة عندما داهمها البرد فهاجرت ..

تعلقت بفتنة ولم اتجاوز الثالثة عشر .. كانت تصغرني بعامين او ثلاث ، فنشأنا سوية وترافقنا دائما وكنت اشاركها المسير امام ابيها ، فنبدو معا الفرخين المحببين له . ولم يستطع ان ينازعنا أحد هذه الخطوة لقناعة الرفاق ان هذا من حقنا وحدنا .

وفتنة سمراء نحيلة ، تميل الى الطول ، حتى ان ظلها ينافس ظلي كلما تقدمنا الشمس ، وعندما يعبث الهواء بشعرها تبدو خصلاته كحزم الدخان الهاربة من فم الباخرة ...

كانت امي تنهرني قائلة كلما وجدتني معها :

— انت شاب صغير وعليك ان تلعب مع الاولاد . وتضيف جدتي :

— ان هذا الجيل عجيب ، يعرف كل شيء ..

وتصمت لحظة تعبر خلالها الى زمان شبابها الذاوي ، وتكمل :

— آه .. كانت العروس تخجل ان تحدث زوجها حتى بعد مرور اسبوع .

حاولت امي ان تمنعني من لقاء

فتنة ، لماذا تمنعني ؟ انا اشعر بالسرور كلما حدثتها او تأملتها ، وفكرت « ربما لان لها افكارها الخاصة » ولكن لماذا تريد ان تلزمني بها ؟ وكان هذا التصرف منها يسيء لي .. فاغضب واثور مسببا لها المتاعب .

كثيرا ما قلت لها :

ـ انا اعلم فتنه .. والدها طلب مني ذلك لانه ليس عندها ام كي تعلمها .

وهذه الغمزة الاخيرة كانت تشجعني على الاستمرار .

ـ فتنه تكره الحساب لانه صعب ولان ارقامه كثيرة ، وهي لا تحب الارقام ، وقد طلبت مني ان اساعدها لان المعلمة تفضل ان تأكل الليمون او تتسلى بالبذور أثناء الدرس ..

وفي احايين كثيرة عندما تعييني الحيلة ، كنت اكسر القنديل او اسفح البقية من زيت الصفيحة ، ثم اصرخ واولول مدعيا اني لم انه فروضي .. حتى اذا سمح لي باستكمال دروسي في بيت فتنه هرعت الى غرفتها .. فنتسامر او نلعب الورق او نصمت .

ولم يكن ابو فهد يغضب اذا شاهدنا نلهو ، بل يقول بعد ان يتفرس بنا كأنه يذكرنا بقوته :

ـ امرحوا ولكن اجتهدوا ..

لا ادري لماذا ابغي رؤية فتنه دائما

كنت ارغب ان اشاهدها فجأة ، فتتوقد رغبتي المبهمة في التو ، فاعدوا اليها ، وانظر كالابله الذي يسابق منافسين وهميتين امامها .. وبالتدرج بدات الاقي صعوبة في تبرير مجيئي ، ولم اجد سببا مناسبا لهذه الحالة .. اريد ان تبقى معي او ان ابقى معها .. ومرة تمنيت لو كانت اختي الصغيرة لان فراقها كان يقلقني فاسبب المشاكل لاهلي ... وعندما اراها اخاطبها مضطربا :

ـ فتنه اريد ممحاة .. او اضعت قلمي ، وغالبا : سأتأكد ان كانت عملية الحساب صحيحة .

وتبتسم لي .. ربما فهمت مشاعري «كنت كالصدفة المتضرعة الى السماء، تنتظر متلهفة نقطة الندى حتى تكوّن اللؤلؤة » . وتنتقل العدوى الى فيخفق قلبي ، واحيانا كنت اهرب عندما اشعر بالخجل ، وتجيبني :

ـ سوف انال عشرة كالمعتاد .

والحقيقة لم تكن المدرسة تهمها بشيء ، وحتى لو تغير العالم لما حركت ساكنا ، فلا صلة حقيقية تربطها به .. ثمة فكرة واحدة تسيطر عليها ، تعيش معها ، تحفر في قلبها . وباتت تحدثني عنها دائما . «أمها» . اي قسوة ... لماذا تموت الامهات ؟ كم تتألم فتنه .. كانت لا تملك ما تملكه سائر الفتيات الصغيرات .. وكثيرا ما فكرت بهذا : من يرجّل شعرها ؟ ترى من يحممها ؟ هل تبدو عارية امام ابيها؟ يا الهي لماذا تموت الامهات؟

في عيني فتنه السوداوين بريق يسحرني .. بريق حزين يعري نفسه كشعاع الفجر المخضل بمطر ليلة ربيعية .. ومرارا عبرت عن مشاعري المستوفزة محتالا :

ـ فتنه هل تعرفين امك ؟ هل تعرفين لون عينيها ؟ لا بد انهما حلوتين كعينيك .

وتداعب فمها ابتسامة صافية ، فترتعش شفتاها ، وترمي نظرة حالمة شاردة نحو السماء عبر النافذة .. هل كانت تصلي ؟

لكن حدث مرةً ان بكت ، فشعرت بالغم ، ادركت اني المسؤول عن حالتها ، وربما تجلت مسؤوليتي بالحزن المفاجيء الذي احسسته ، وعبرت عن حالتي :

ـ فتنه . انا آسف لن اذكر امك ثانية .

قالت وهي تشرق من بين دموعها .

ـ يقول ابي انه اتى بها من البحر، ولكن الا يموت السمك خارج الماء ؟

ويترقرق الدمع ثانية في مقلتيها. لقد خمنت ان فتنه تشك بان امها توجد في مكان ما في البحر ، وبدا لي انها لم تعد تصدق والدها .. وقد كرهت ان اتابع الكذب معها او اقول لها :

« ان حوريات البحر يجلسنا على عروشهن الذهبية في قاع البحر . »

واكملت فتنه :

ـ سألتني مرة ان كنت احب ان اصير سمكة ، وقد اجبتها معاتبا : اريد ان اكون مثلك .. انا احب ذلك من كل قلبي .

ويتقلص وجهها فتقسو ملامحه ، وتشع عيناها ببريق ملتهب فتؤكد :

ـ سألحق بها هذه المرة .

وعند عودتي الى البيت اشعر بالاعياء .. كان ينتابني نفس شعور الخاطيء الذي تعبّد مكرها ، واميل على اذن جدتي اناشدها العزاء .

ـ اريد ان اكبر يا جدتي

وتحسم الامر .

ـ انت .. انت لم تصل اليوم.

* * *

كانت القافلة تشق طريقها صوب البحر ، وكالفراخ كنا نتظلل بجناحي ابي فهد الكبيرين .. كان اليوم الاول من ايام الصيف ، وقد تهيأت له كالاخرين .. بل كنت متلهفا للقائه لانه كان بالنسبة لي كالغفران من الخطيئة البدائية ، والتحلل من ورقة التوت البغيضة .. وقد ارتبط مجيئه بتحرري من الضباب الذي تبدد تحت ألسنة الشمس اللافحة .. . غدت حياتي مختلفة لاني اصبحت

أكثر امتلاكا لها ، وقد داخلني شعور النحلة التي تركت خليتها وهي تجول في الآفاق قالت فتنه .

ـ سأفاجئك اليوم

وسألتها على الفور

ـ بماذا ؟.. اي سر يخفيه الشاطىء .

وفرت وهي تغمز بعينها ، وفكرت « ترى ما لديها ؟ انها لعبة .. ولا بد انها تمزح » .

كان الطقس لطيفا ، والبحر الازرق فضيا والشمس الدافئة ترتفع من خلف القبة .. لقد خلفنا المدينة وراءنا منذ قليل ، واصبحت البساتين تعزلنا عنها ، وغزت ذهني خاطرة « ربما بدت مدينتي من جبل الاقرع كدير مهجور في بقعة منسية » .

وتفرق الرفاق عندما اشرفنا على نفق الموت .. انتشروا على الشاطىء الصخري بخفة كأنهم يبحثون عن شيء خفي .. من يدري لعلهم يفتشون عن سر انجذابنا لهذا المكان .

واحتضنت عيناي المنظر ، كنت كمن يرى ذكرياته وقد بعثت من جديد متخطية الزمن ، وخرجت صيحة من اعماقي .

ـ البحر لم يتغير .. انه هكذا منذ آلاف السنين .

ثمة صخور عالية كانت تتحفز فوق البحر على الشاطىء المتعرج ، وصخور تتوسط الماء ، ولكن صخرة الموت اكبرها جميعا ، كانت كما قال ابو فهد « كالموت لا يمر تحتها الا من كان اقوى منها » .

وقد تعلم الاطفال الايمان بان ابا فهد هو الوحيد الذي عبر النفق واتى بجنية البحر من هناك .

وتهيأت للغطس عندما خرجت فتنه من خلف صخرتها ، واختارت نتوءا اعتلته ، كانت ترتدي « مايوها » ابيض . فادركت انه المفاجأة .. بل تأكدت انه المفاجأة ، واعترتني رعشة ميزت على الاثر تغيرها كانت جميلة بل ساحرة بكل ما فيها .. وخيل لي انه بمقدورها في تلك اللحظة ان تطير كذلك النورس المحوم فوق البحر لو شاءت .

وتقدمت نحو شلتنا ، فاحاط رفاقي بها كجماعة نحل حومت حول زهرة برية .. واسرعت نحوها أفك الحصار عنها ، لقد تاجج غضب بدائي في صدري فاحسست بالرغبة لضربهم بقسوة .. ثمة مشاعر عنيفة توقدت في قلبي فوجدت نفسي مدفوعا للقتال . فتنه تخصني وحدي ... ولن اسمح لاي كان ان يقاسمني رؤياها ، بل لقد كرهت فجأة ان تظهر عارية ، وتساءلت :

ـ كيف تسمح لنفسها ان تتعرى امام الغرباء .

واقتربت مني فخفق قلبي بعنف وقالت :

ـ لا تحزن .

ولم اجب ، وهمست في اذني :

ـ لقد حلمت البارحة بامي .. وقد سألتني لماذا لا ازورها .

وسارت بمحاذاة الشاطىء ... وتسمرت فوق الصخر عندما اتجهت شمالا نحو النفق ..

ـ فتنه لا تقربي هذا المكان ..

وضحكت كما لو كانت بلبلا .

وهبت نسمة فتموج البحر وترك الموج على الشاطىء زبدا خفيفا وعدوت .. لا ادري كيف عدوت فجأة عندما ايقنت انها سوف تفعل ! وتنبه الجميع .. وخيل لي ان صوتي كهزيم الرعد .

ـ فتنه لا تفعلي ..

وصاح ابو فهد

ـ فتنه عودي .

كانت واقفة على صخرة مرتفعة قبالة صخرة الموت متحفزة للوثوب .

وارتفعت الشمس نحو القبة ، فتركت ملايين الاشكال المتراقصة على سطح الماء ، وتكثفت فوق النفق حوم نورس ، وازهر البحر . وبسطت فتنه ذراعيها ، وتلفتت نحوي ونحو الجمع المتجه نحوها ..

ماذا تفعلي يا فتنه ؟ ارتفعت في الفضاء .. رباه .. كم كانت جميلة !

ودون ان تبقى معلقة ولكنها تميل .. الهواء يخذلها .. فتنه ارتفعي ... البحر ساحر .. فتنه تتحول الى سمكة تلهو ، انطلقت من الاعماق وها هي تعود اليه .. البحر يجذبها ... النورس عدو البحر الابدي ... تعلقي بالشمس .. انت الان في شبكة الشمس .. لا تمزقي الشباك .. آه الشباك تخذلك يا فتنه .

وارتج سطح الماء ، وتطاير الرذاذ . هناك تماما في نفس المكان الذي ازبد فيه الماء وطفت فوقه الفقاعات ...

اللاذقية **يوسف مقدسي**

حـــيرة

*

مضت شهور
وشهور
ونحن كما نحن
في دوامة الحيرة ندور
القلق يعصف بنا
ومن اعيننا
تطل نظرة
ظلم وجور
وامامنا درب طويل
يدور يدور
بجانبيه
الام واحزان ،
واشواك وصخور .
أنظل نمشي دربنا الطويل
الاشواك تدمينا
تسحقنا الصخور
تحطم قلوبنا
ونظل ندور
سئمنا الحياة
مللنا الوجود
وشقاء الوجود
وطي الشهور
ونحن ندور !

الرياض **سارة بو حيمد**



ابرهيم ناجي

ابراهيم ناجي وشعره المجهول

بقلم وديع فلسطين

ننتهي من حديث الفرائد الشعرية المجهولة لصديقنا الراحل الدكتور ابرهيم ناجي لنبداه من جديد ، فهو حديث لا نملك زمامه ، يسوقنا من درب الى درب لا على هوانا بل على هوى الحقيقة الادبية التي املت نفسها علينا املاء . فهذا الشعر الكثير الذي ادرجناه في هذه المسلسلات ، انتهى امره الينا بقليل من البحث وبغير كبير مشقة . ولو ملكنا الوقت والجهد لاستخرجنا من بطون المدونات المنشورة قدرا اخر كبيرا من شعر ناجي المجهول ، وهذه مهمة ما زلنا نتهيبها لاعتبارين : اولهما ان شعر ناجي ترامى في عشرات بل مئات من مجلدات الصحف ، وحصره متعذر حتى على المتبتلين في صوامع الكتب مثل استاذنا السوربوني الدكتور محمد صبري باعث المجهول من شعر شوقي والمطوي من نثر مطران وشعره . وثانيهما ان كاتب هذه السطور يعرف جيدا انه طفيلي على الشعر ، لا قبل له على فحصه وتمحيصه ، ولا قدرة له على ضبطه ان اعتل الوزن بخطأ مطبعي . فقد اتذوق الشعر واستطيب جيده وانفعل لمعانيه ، ولكنني لست شاعراً ولن احشر بين الشعراء على أي نحو من الانحاء .

ولقد كنت احسب ان ما نشره الدكتور ابراهيم ناجي في مجلة « الطالبة » التي تحررها المربية العالية الثقافة الوديعة الصفات الصارمة الاخلاق السيدة منرفا عبيد الحكيم لا يعدو ان يكون بضع قصائد دعته اليها مناسبات خاصة بتلك المجلة التي تحمل للطالبات رسالة الثقافة النقية والغايات الشريفة ، بيد انني تبينت سوء تقديري. فعدت الى مجموعة المجلة واستنسخت ما فيها من منظوم ناجي تاركا الى حين منشوره الذي بدأ نشره في عام ١٩٣٨ ، وهاكم ما وقعت عليه من جديد شعره ، وكله قد خلا منه ديوانه المنشور بتحقيق الاصدقاء احمد رامي وصالح جودت والدكتور احمد عبد المقصود هيكل والمرحوم محمد ناجي.

واغلب هذا الشعر الجديد قيل في اغراض الوصف والتغني بجمال الطبيعة حتى لقد خص الربيع بقصيدتين من جيد شعره ، وكل الشعراء تغنوا بالربيع وبثوه اجمل شعرهم واطلقوا اسمه على دواوينهم كالياس فرحات صاحب ديوان « الربيع » وفؤاد بليبل صاحب ديوان « اغاريد ربيع » وغيرهما .

وقد نشرت اولى هاتين القصيدتين في ابريل (نيسان) ١٩٤٠ وثانيهما في عدد ابريل (نيسان) ١٩٤٢ وهما على التوالي :

الربيع

لمن هذا الجلال جنى وظلا ... ومن بسط الجمال ومن أظلا
ومن نشر الضياء على البرايا ... ومن من اوجه العالي أطلا
أطل فلم يدع ركنا صغيرا ... ولم يترك على الدنيا محلا
أجل ! هذا الربيع وما راينا ... أحب ولا عرفنا مِنه أحلى
تعالى الله ، مد لنا بساطا ... واودع نعمة فيه وعدلا
فليس به غني او فقير ... جميع الناس منه تصيب فضلا
لقد عاد الربيع فقل لقوم ... هنالك امعنوا فتكا وقتلا
لمن هذا الربيع اذا اقتتلتم ... وجف الحب فيكم واضمحلا
لمن ورد على الاغصان زاه ... وهذي الارض بالاحزان ثكلى

الربيع

اسأل الكون او فناج الربوعا ... او بهذا الورى عبس الربيعا
أين فجر السلام ؟ هل فجره ضل ... مع الصبح لا يرجى الطلوعا ؟
أين زهر الربيع، هل جف في الروضة ... أم طله استحال دموعا ؟
أين عهد الصفاء والامل الناضر ؟ ... ولى فلا يريد الرجوعا
يا بشير الربيع ناد البرايا ... ربما صادف المنادي سميعا
قل : تعالوا الى المودة والعطف ... وثوبوا الى الوفاء جميعا
أيعود الربيع بالزاد والري ... ويشكو العباد عريا وجوعا ؟
ويمتد البساط الاخضر نضرا ... وتمدون من الدماء نجيعا ؟
هب لنا ربنا ، وانت الرحيم ... كلما نبعث الدعاء شفيعا
نظرة تقتل الضغائن والبغض ... وشيطانها يخر صريعا

وفي وصف الطبيعة نظم الدكتورابرهيم ناجي القصيدة التالية وقد ادرجت في « الطالبة » في عدد ابريل (نيسان) ١٩٤٤ ، قال :

الطبيعة

وافني نغتنم جمال الطبيعة ... ويرى المرء في الربيع ربيعه
خل ضيق الديار وانزل برحب ... من رياض ومن غياض وسيعه
واذا ما عصاك فكر وفن ... فهنا الفِكر والاماني مطيعه
ها هنا في الزهور والعشب حال ... يجد القلب ما يحب جميعه
تجد الروح بهجة وانطلاقا ... يجد الفكر هاهنا ينبوعه

منظر كلما طوته الليالي   نتمنى مع الهلال طلوعه
وبساط من الرياحين ناد   أبدا ترقب الرياض رجوعه

وفي شهر واحد هو شهر يوليو (تموز) ١٩٤٦ نظم الدكتور ناجي قصيدتين في القمر ، واحدة في البدر التمام والاخرى في القمر المخسوف ، وهما :

القمر

أضيء على النيل واخطر بين شطآن   وفضض الرمل من سهل وكثبان
لانت قلب الوجود المحض منطلق   على السماء ينادي كل انسان
وانت دون سحاب ثغر فرحان   وانت خلف سحاب غل اشجان
وانت عند شجي دمعة سكبت   على الفضاء فظلت دون اكفان
وانت للارض هاد وهي ما فتئت   حيرى تدور على اعقاب حيران
وانت في الكون ظل الخلد منتشر   على البرية من قاص ومن دان
لا يبلغ الزمن المحدود جانبه   وكيف للخلد تحديد بأزمان
فملتقى السعداء اللمح من قصر   والعمر في نورك المحبوب عمران
من انت يا من سرى في خاطري ودمي   وصمته الحلو يسري ملء آذاني
يا للفتى الفريد العبقري اذا   شدا على وتر بالصمت رنان
يظل يهتف في روحي فيسكرني   فما احتياجي الى ترجيع الحان
يا طاويا في الليالي السر أجمعه   ويا كتاب الليالي دون عنوان
عجبت لليل يحوي جنة خلعت   نور الصباح على اعطاف بستان

اما قصيدة ناجي في الخسوف فهي :

ذات يوم كمل البدر وفي الافق استدارا
كعبة الانظار والشعر لمن حج وزارا
فاذا ابناء هومير يؤدون المزارا
مدحوا البدر وعادوا بالذي جد حيارى
خسف البدر ، هل البدر خجول كالعذارى ؟
كسيت وجنته في صفحة الافق احمرارا
مسبلا من خجل دون المحبين خمارا
بيد مثل يد الحسناء قد ابدت سوارا

ووجه الدكتور ابرهيم ناجي نداء «الى صديق» في عدد مارس (اذار) ١٩٤٥ فقال :

انت الحياة ! وقد رعيت صديقا   يا من يعين بها ويمحو الضيقا
عجبا لمنطلقين في اجوائها   شقا على وعث الطريق طريقا
يتقيدان العمر في حرية   ما دام بينهما الرباط وثيقا
في صحبة تكسو الحياة سعادة   من فاتها قد أخطأ التوفيقا
يا شاطيء الامن الحبيب لمجهد   في اليم اوشك ان يصير غريقا
لي فيك يا شط السلام منارة   كانت هدى لمضلتي ورفيقا

ونختتم هذه الفذلكة من شعر ناجي المفقود الموجود ، الضائع المضيع ، المجهول المعلوم ، المنشور المطوي ، بقصيدتين نظمهما في تحية مجلة « الطالبة » في عيد مولدها ، وقد ادرجت اولاهما في عدد فبراير (شباط) ١٩٤٨ وثانيتهما في عدد فبراير (شباط) ١٩٤٩ ، وهما:
١٩٤٩ ، وهما :

أهنيك بالسنة العاشرة   وبالخطة الفذة الباهره
فيا نجمة في سماء العلى   بها تهتدي الانفس الحائره
ستعلو الرؤوس وتروى النفوس   وانت على افقها ساهره
وعفوك حين ارتجلت الكلام   وحين نظمت من الذاكره
ففضلك لي حافز ملهم   كما تاهم الروضة الناضره
فان تطلبي الشعر من شاعر   فانت باعجابنا شاعرة
اذا كنت « طالبة » لفنون العلى   فانك أستاذة قادره
تحليت بالعلم في روعة   وزينت بالرقة الساحره



عينا حبيبي قد انارت ما تجهم من دروبي
عيناه – من نبع الضياء يفيض من طرف مذيب
وعلى ترانيم البكور ، ومع تراتيل الغروب
تهب الحياة لفجري المجروح للروح الغريب
عيناه – من غيض ظليل غار في الجفن الكئيب
ومن الصفاء يشع في ألق على الافق الرحيب
تغني وجودي، تمنح الجدوى لصحرائي الجديب
لولاهما لهجرت درب العمر وحدي مع ندوبي
لا هاديا عبر المتاهة ، لا معينا في نحيبي
عينا حبيبي ديمة سمحاء كانت من نصيبي !

دمشق   سلافه العامري

والقصيدة الثانية هي :

حمل الطير لك الحظ فهل   ركب الحظ جناحي ملك ؟
لم لا يحمل ما أملته   والذي أمله القلب لك ؟
من فنون المجد طرا والعلى   جمل الله العلى منزلك
طالما انت لها « طالبة »   طالما قد درتما في فلك

ونعود فنؤكد ان ناجي الشاعر اكبر واضخم واعظم بكثير من ناجي الذي صورته الدراسات التي وضعت عنه او الديوان الذي نشر باسمه . وقد نبهنا في هذه الفصول الى كثير من شعره المبثوث هنا وهناك ، ودع عنك نثره فهو بدوره تراث لم يجمع ولن يحصر ، فلعلنا نكون قد استرعينا الانظار الى الحقيقة التي لا مفر من اعلانها ، وهي ان تراث ناجي ما زال ضائعا يستحث الباحثين ان ينقبوا عنه وان يجمعوا فرائده ويستكملوا ديوانه وينصفوه في ادبه بعدما جحدوه في حياته . لقد جنوا عليه في صدر شبابه في « حديث الاربعاء » فغادر مصر يجر همه وعاد اليها يجر ساقه كما قال في قصيدته التي استقبل بها مصر بعد فراره من حملة طه حسين عليه :

هتفت ، وقد بدت مصر لعيني   رفاقي ، تلك مصر يا رفاقي
خرجت من البلاد أجر همي   وعدت الى البلاد اجر ساقي
أتدفعني وقد هاضت جناحي   وتجذبني وقد شدت وثاقي

ثم جرعوه المرارة في حياته حتى اصابته علة الصدر وكاد يقضي نحبه بسببها . ثم استكثروا عليه لقمة الخبز وطردوه الى الطريق العام فكانت تلك الضربة القاضية على شاعر كل ذنبه انه شاعر شعر ، كما قال ابو شادي في رثائه .

القاهرة   وديع فلسطين

مرابع الخلد

لونت شعري من نعمى هواك ندى   يا أربعا أسكرت أنسامها الابدا
للسحر والخمر ما أهدت وما سكبت   نجواي منك شفاه تحمل الرشدا
دنياي أنت جنان ما عرفت بها   غير الهدى . فكسوت التائهين هدى
ما للحياة وما لي كلما اتسعت   لي الطريق أقامت دوني العمدا ؟
يا للبصائر ضلت وجه فاتنها   هذا الجمال . ولكن أين من شهدا ؟
ما أحزن الحق مصلوبا على شفة   تود لو وجدت من أهله أحدا ؟
توهجت خضر احلامي فهمت على   مناسك الشعر مرتادا ومبتردا
اني لاغفر للحساد نسجهم   على سنائي من احقادهم بردا
عزاء نفسي اني ما وقفت على   أندى من الحق ايمانا ومعتقدا

شعري . جرحت اباء الشمس مؤتلقا   أتستبيح زمام الخلد منفردا ؟
أتلعت جيدك نشوان الدلال ويا   لحادثات الليالي عانقتك مدى
يا ضيعة الشاعر المعطاء ترمقه   عين الفواة وتسقي ورده الحسدا
لا يحفلون به حيا وان علموا   بفقده لقبوه الشاعر الفردا

حسناء عبقر من عبت مراشفه   سلسال خمرك لولانا ومن وردا ؟
نحن ارتعاشة أوتار تنمنمها   قيثارة الله وحيا . والزمان صدى
نهدي سعادتنا الدنيا وان عبثت   كف الشقاء بنا لا نحسد السعدا
لم يدر سامع نجوانا وقد لعبت   به المدامة أي الانجم اتسدا
حار الاباء ولم تهنأ سجيته   حتى ترشف من اكوابنا الصيدا
شمائل اليعربي البر ما تركت   لناقد املا . او جاحد أمدا
وللجمال على اهل الجمال يد   لولا الملاحة وجه الحسن ما عبدا
ما دلل الله خلقا من بريته   كالعرب . أو صاغ من انسانهم ولدا

مرابع الخلد كم من وثبة همدت   على ذراك . وكم من ظالم سجدا ؟
أخت الربيع وعندي كل حانيه   تذود الشمس من حصبائك الرغدا
تملكي من حنايا القلب متكأ   ومن جفوني والاهداب متسدا
انا المحب وحسبي منك ما وهبت   دنياك كل هزار بالجمال شدا
ماضي ألف نعيم في جوانحه   فكيف ينكر نعمى الله من وجدا ؟
كفرت بالامس ان لم أجن من يده   مجدا ينير سبيل المكرمات غدا

تمر بي خطرات لو ملكت لها   أغنى من القلب حبا ما بخلت فدا
لم أخل من ذكر « بدر » من ملاحمها   الا وشهب الاماني أيقظت « أحدا »
بند من الفخر ما حلته عاصفة   لغير ملتزم الايمان ما انعقدا
تبارك الله كم من أمة نفدت   أمجادها . وسناء العرب ما نفدا

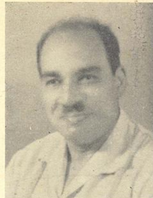
كنت الربيع واطواد النضال على   مسارح الطعن تلقى الهم والنكدا
وخلف كل صباح اجتلي خبرا   عن فخر منتظم في موكب الشهدا
يرود من سبل العلياء مؤتملا   ومن رضى الله والاوطان معتمدا
لا يستريح دم يغلي بجبهته   الا على سندس من جنة وفدا
ورب فضل تساوت عند واهبه   أهواء من حمد الانعام او جحدا
قل للجبان اذا ما هان مرتضيا   ظلمت نفسك . حظ القانعين ردى
ذر الحسام بدرب الحق منطلقا   لا يذهب الله جهد العاملين سدى

يا موطني ألف جرح عنك يسالني   بجانبي ينز الحقد والكمدا
يا موطني طمعت فيك الذئاب فلا   عدمت للسيف يا مهد الاباة يدا
يا موطني لسوى نجواك ما زرفت   روحي من الوحي ما غنى وما اتقدا
شب الحنو بقلب . انت واحده   فرحت اوسعه نعماك والبردا

ويسالونك عن شعري فقل عصفت   به السنون . فلا أغفى ولا اتأدا
بحر من الحسن ينساب الخيال به   تهيب الناس منه الموج والزبدا
نذر لعينيك . لم تمنعه نازلة   وخير العود من اوفى بما وعدا
اود من حمل الايام عاتية   قلبي . وأجود من أهدى الانام ندى

حمص

عبد الرحيم الحصني



انور الجندي

الوجدانيات في النثر العربي المعاصر

بقلم انور الجندي

لم يكن « اللون الوجداني » في النثر العربي المعاصر واضحا تمام الوضوح في خلال فترة ما بين الحربين . ربما كان واضحا في الشعر باعتباره فنا من فنون الوجدان الاصيلة التي تقوم على العاطفة .

اما بالنسبة للنثر فاننا لا نجد الا قليلا من الكتب والرسائل ، وعددا قليلا من الكتاب ابرزهم : مصطفى صادق الرافعي وزكي مبارك وصادق عنبر وعددا قليلا من الرسائل المنسوبة الى جبران ومي وزكي مبارك .

ومرجع هذا القصور انما يعود الى ان الحياةالاجتماعية كانت بالغة الانطواء ولم تكن المراة في هذه الفترة قد برزت الى المجامع والاندية ، فلم يكن هناك غير ندوةالكاتبة مي في مساء الثلاثاء .

ولعل مما يؤكد هذا ما ذكره عبد الحميد رضا من انه اخذ يوجه رسائل نسائية غرامية الى عدد من الكتاب على اساس انها من فتاة معجبة ويتلقى ردودهم عليها وقد استطاع ان يخدع المازني والسباعي وفكري اباظة .

وكان عبدالحميد يقوم بدور الساعي حيث يقدم الرسالة المرسلة من الانسة « فاخرة » الى احدهم ثم يحصل على الرد، وقدوقع هذا عام ١٩١٤ واستطاع ان ينشر مجموعة من رسائل المازني (الهلال ـ اكتوبر ١٩٤٩) .

ويمكن ان يقال ان الرافعي هو اول من ابتدع رسائل الحب المكتوبة في الادب العربي المعاصر . فقد اصدر عام ١٩٢٤ كتابه « رسائل الاخوان » الذي جمع فيه خمس عشرة رسالة وجهها الى حبيبته ووصفها بقوله :

« .. هي رسائل الاحزان لا لانها من الحزن جاءت . ولكن لانها الى الحزن انتهت ، ثم لانها من لسان كان سما يترجم عن قلب كان حربا، ثم لان هذا التاريخ الغزلي كان ينبع كالحياة . وكان كالحياة ماضيا الى قبر » .

ثم اصدر الرافعي من بعد كتابه « اوراق الورد » عام ١٩٣٠ وقال ان فلسفة الحب والجمال فن مستحدث في اللغة العربية وانه هو اول من كتب فيه مؤلفاته الثلاث : السحاب الاحمر ورسائل الاحزان واوراق الورد ، وانه بهذه الكتب سد المكان الخالي في الادب العربي من اول تاريخه الى اليوم واعطى العربية كتابا في رسائل الحب وفلسفته واوصافه يقابل به ما في اللغات الاخرى .

وقال ان هدفه هو تطهير فكرة الحب وتهذيب معانيه في نفوس الشباب والفتيات والسمو بهذه الفكرة الى الروحانية لتسمو بها النفس بدلا من ان تسقط . ووضع عمل حاسم يفصل في النزاع القائم بين القديم والجديد لانه نزاع كلامي الى ان يصنع احد المذهبين عملا يعجز المذهب الاخر عنه .

وقال مؤرخو الرافعي ان هذا الكتاب سد المكان الخالي في الادب العربي المعاصر ، ووصفه الرافعي بانه كتاب العربية ومعجزتها في هذا الباب . وكان حب الرافعي ولا شك هو الذي دفعه الى ابداع هذا اللون ، هذا الحب الذي امتد حياته كلها . الحب الذي عرفه بعد ان فات الشباب وتزوج وانشأ الاسرة فكان له في نفسه هزة باهرة ، لم يجد السبيل الى التنفيس عنها الا بكتابة هذا اللون من الرسائل الموجهة الى غير احد ..

وقد فصل محمد سعيد العريان في كتابه « حياة الرافعي » وفي مقدمة رسائل الاخزان طبعة ١٩٤٠ ما يتصل بهذه الرسائل من حب الرافعي للكاتبة مي وقد اختصم معها لانها آثرت غيره بالحديث ، فخرج مغضبا وفي نفسهثورة وكتب اليها كتابالقطيعة وارسله بالبريد. ثم احس بالندم ، ومضى يسجل خواطره في رسائل كان ينشرها بين آن وآن ويعتقد ان صاحبته تقراها .

وكان هو ايضا يتطلع الى ما تكتبه بين السطور ليرى فيه الرد على ما وجه اليها ..

والواقع ان « حب مي » الذي تقسمه الكتاب في حاجة الى دراسة واسعة جدية، فهناك الرافعي وجبرانوصروف وانطون الجميل واسماعيل صبري وطه حسين والزيات وكثيرون غير هؤلاء وجهوا لمي رسائل حب وربما تلقوا منها رسائل ايضا .

وقد نشر طاهر الطناحي عام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ فيالهلال عديدا من فصول .. حول هذه الرسائل كما كتب كامل الشناوي في اخبار اليوم مجموعة اخرى من الفصول حول هذا الحب .

وصدرت فيبيروت رسائل جبران ورسائل ميومؤلفات

كاملة عن هذا الحب ، كما تناول ذلك عدد من الباحثين .

ويمكن القول ان حب الرافعي كان من جانب واحد ، وانه كشأن زملائه في هذه المرحلة من العمر ، كانوا يجدون في « ندوة مي » حدثا جديدا يبعث النشوة في النفوس ويدعو الى التعاطف .

غير ان سعيد العريان اشار في غير موضع من كتابه الى ان الرافعي فكر في الزواج من مي لولا بعض عقبات ومعوقات .

ولا شك كان حب مي للرافعي ضياء اضاء حياته واعطى الادب العربي مزيدا من هذا الفن ، وان ثبت بان رسائل الرافعي في كتبه الثلاث لم تكن كلها موجهة الى مي .

* * *

ولقد دارت مناقشات ومعارك حول هذا الفن الجديد الذي رأى الرافعي انه واضع اساسه وقال زكي مبارك ان اوراق الورد ليس اول كلام عربي في الحب وفلسفته وليس الا كالرسائل العربية القديمة التي كان يكتبها الجاحظ وغيره ، وقال مبارك انه اكتشف رسالة للجاحظ بعث بها الى القائد الكاتب ابرهيم بن المدبر وهي على غرار رسائل الرافعي في اوراق الورد .

وقال ان معنى ذلك ان الرافعي قد نسج على منوال الجاحظ واستعار منه ، وقد جاء في رسالة الجاحظ :

« ما ضاء على نهار ، ولا دجا الليل منذ فارقتك ، الا وجدت الشوق اليك قد حز في كبدي ، والاسف عليك قد اسقط في يدي ، والنزاع نحوك قد خان جلدي فانا بين حشا ملتاعة ، ودمعة مهراقة ، ونفس قد ذبلت بما تجاهد ، وجوانح قد ابليت بما تكابد . . »

وقد علق الرافعي على هذا بانه ليس من اداب الحب الحقيقي لانه معاطفة بين كاتبين وليس حبا بين رجل وامراة وتحدث ابرهيم المصري ولطفي جمعة عن رسائل الرافعي « اوراق الورد » عند صدورها فوصفها المصري بانها غنية بالالفاظ ولكنها لا تحفل بالفكرة وتهتم بالصياغة ولكنها لا تنفذالى قرارة النفس ولا تؤثر فيمجرى الفكر .

وقال جمعة : انه بجانب جمال اسلوبها ونقاء ديباجتها من حيث الفصاحة والبيان ، الا ان المعاني كانت مبهمة وبها بعض الغموض .

ورد الرافعي على ناقديه فاشار الى انهم انما يقصدون بواقعية الفكر ان يبرز الغريزة الجامحة العمياء في الحب وهذا هو الفن عندهم ولكنه لا يرى ذلك ، ويؤمن بان هدف الكتابة يجب ان يكون تهذيب النفس لا لاسقاطها ولضبط الغريزة لا لاثارتها .

* * *

ثم ظهرت بعد ذلك رسائل جديدة في الحب للاستاذ محمد صادق عنبر

تحت عنوان « رسائل الحب والجمال ـ قيس وليلى » ظهرت عام ١٩٣٦ وهي كما وصفها صاحبها « مجموعة رسائل تبادلها قيس اخر وليلى اخرى ، وهي طراز لم ينسج في العربية على منواله لانها تصور الحب والجمال كليهما في اسلوب من التراسل بين حبين كان فيه من بلاغة الاسلوب الالهي في التأليف بينهما » .

وقد وصف الكاتب الذي اراد ان يخفي عاطفته وراء رسائل متبادلة بين رجل وامراة حتى لا يؤخذ عليه في مجال المكانة الاجتماعية فقال :

ان هذه الرسائل تخييل لهوى تجد على الزمن جدته حتى كانه في تناهيه بداية ولكنها لا تزال في اولها وتمد وئيدا فهي في كل ساعة قدر تلك الساعة لانه هوى فتن على الهوى فتونه وجن على الرشد جنونه ، وهي فيما احسبك ترى ، سر من الخلود تنفس به قلب من قلب فلم يكن في القلبين الا قدرا تجول بين القلبين حتى كانما خلق به في كل منهما كون سحري في هذا الكون ، هو الحب الذي حن حنينه والجمال الذي تنزه ظنه ويقينه . »

واشار الى هدفه من اصدار هذه المجموعة فقال « وقد جاءت هذه الرسالة بموضوعها رسالة حب علوية موجهة الى شباب هذا العصر ، ولعلها تصلح ان تخاطب بها الانسانية في هذا الشباب فقد انبعث من احد جانبيها صيحة تدوي لترتد اليها من الجانب الاخر اغنية تطرب وهي تشوق النفس بمعنى وتسوقها بمعنى مترفقة الى حقيقتها العليا لتجذبها هذه الحقيقة الى افقها الاعلى » .

ويقول بعض الباحثين ان هذه الرسائل قد كتبت قبل عام ١٩٣٠ ونشرت في بعض المجلات وانها هي التي هدت الرافعي وزكي مبارك الى هذا الفن والواقعان « طابع » اسلوب عنبر يشبه الى حد كبير اسلوب الرافعي وطريقته وهذه بعض عبارات الكاتب في رسائله :

قيس : اعرف ماذا ادعوك من قرارة نفسي منذ رايتها فيك غير ما كنت اراها من قبل ولكني لا اعرف الساعة : وانا اكتب اليك لاول مرة ماذا ادعوك في رسائلي فان ما يمكن ان القبك به مما تواضع عليه الناس في مراسلاتهم لا يزال ، فيما ارى ، اقل مما انت حري به مني .

ليلى : لمست يد الله قلبي حين مست يدي كتابك الكريم . فقد احسست هذا القلب يخفق في ايقاع نبراته الموسيقية . وقد كنت من هذه المعاني السماوية كالمعدم فعدت اباهي بما وهبتني منها . ولو اردت ان اصور لك هذه المباهاة وقدرها في نفسي لقلت لك لا يشبهها الاتية ، رجل من الناس يفاخر الناس كافة بان في قلبه عينا تنظر من قريب الى الجنة . . »

* * *

وفي عام ١٩٤٢ ظهرت في جريدة الصباح فصول تحت عنوان « رسائل مجنون سعاد بقلم الدكتور بديع الزمان » وقد وصفها كاتبها بانها رسائل تصور اعنف مأساة غرامية في العصر الحديث .

وقد عرف من اسلوبها ، كما عرف من بعد انها مجموعة

رسائل حب كتبها الدكتور زكي مبارك وهو في بغداد ووجهها الى « شاعرة مصرية » وقد مهرها بهذا الرسم حتى لا تكشف شخصيته . وقد كان الرافعي اجرا منه في هذا المجال .

ولا شك ان طابع هذه الرسائل المباركية يختلف عن طابع الرسائل الذي كتبه الرافعي وعنبر وان كان لا يبدو انه اصدق حبا او اشد عمقا .

وهذا نموذج من هذه الرسائل :

اكتب هذه الرسالة وانا مقتول الاماني والامال بعد ان كتبت اليك ثلاث رسائل ولم اتلق طيفا من جواب .

وانا اعرف ذنبي ، يا سعاد ، وهل لي ذنب غير الثقة بوعود الملاح .

ما ذنبي ! ما ذنبي وقد وقفت عليك اهواء فؤادي ، ما ذنبي وقد رايت جسمك الفينان وثنا تباح في حبه الذنوب .

ساذكر وستذكرين يا سعاد ، سنذكر معا ايام تصافينا وهي ايام مضت وكانها بروق خواطف لا رجع لها ولا معاد . سنذكر ايامنا التي مضت وكانها خفقات قلب مبهور من حلم رائع لن تسمح بعودته الليالي .

لا نفع في العتاب ولا عناء ، فلنمض في الهجران الى آخر الشوط ولننتظر ما تصنع الاقدار بمصاير الحب المعتدى عليه بلا جريرة ولا ذنب ، وهو اطهر من الماء وارق من الهواء .

لا اكاد اصدق ان الهجر قد ينتهي الى قطيعة آثمة مجرمة لا يكون بعدها لقاء . والخسران سيكون من نصيبك وحدك يا سعاد ، اما انا فسأتخذ من فجيعتي في الحب قيثارة ارجع عليها الحان الوجد والحنين ، لاخلد على الزمان كما خلد قيس بن الملوح وقيس بن ذريح .

والخلود صورة وهمية ولكنه من مشتهيات الرجال .

* * *

وبعد : فهذه هي الكتب التي صدرت تحمل رسائل غرام مبهمة غامضة ، تصور عواطف يغلب عليها الحرمان والاحساس بالخوف والتوجس ، اما فيما سوى ذلك ففي هذه الفترة التي نؤرخها لم تكن قد طبعت بعد رسائل مي ورسائل جبران . وهي رسائل واقعية ربما كانت اكثر حرية في التعبير ووضوحا في تصوير العاطفة .

اما الحديث عن الحب صراحة في ادب الكتاب في العالم العربي فقد ظل ظلالا منطوية من احاديث او كلمات عابرة في ذكريات ولم يتحدث في هذا الامر حديثا صريحا الا الدكتور زكي مبارك في كتابه «ليلى المريضة في العراق» حيث قال :

« حديثي عن الحب صار مذهبا ادبيا اشرح به ما يتعرض له الناس في ميادين النوازع والاهواء ، وانا اريد ان اخلق جوا من البشاشة وادفع به ظلمات الزمان ، فالحب لا يغزو الا قلوب الاصحاء وهو يساور قلوب الجنود في اصعب اوقات الحروب ، نحن لم نبتكر الكلام عن الحب فهو عاطفة عرفتها الارواح منذ اقدم العهود ، وما قيمة الدنيا اذا خلت من الحب ولاي غرض يحيا الناس اذا اصيبت افئدتهم بالاعتلال فلم تحس ذلك الروح اللطيف » .

ومع ذلك فان زكي مبارك لم يصور عواطفه الا في مقالات قليلة نادرة عندما تحدث في الرسالة ، عن الفتاة التي قابلها في باريس وكان له ولد وكان ينفق عليها من القروش القليلة التي كان يعيش بها طالب في باريس او الفتاة الجميلة التي كانت تطرق الحديد في احد المناجم ، وكلها صور مبهمة غير واضحة .

اما طه حسين فلم يتحدث الا عن حب زوجته ، وقد جاء ذلك لماما وفي فصول قليلة مبتورة ، لم تمتد لتصور تجربته الكاملة ، اما توفيق الحكيم فقد عاش تجربة حب في قصة «الرباط المقدس»على حد اعتقادبعض الباحثين .

اما الزيات فقد كتب مرة او مرتين عن حب الريف القديم ، وعن حب الفتاة الفرنسية التي كانت تدرس معه القانون في ليون ثم كتب في السنوات الاخيرة فصولا عن حب آخر في بغداد سنوات اقامته بها وذكر احمد امين في كتابه « حياتي » قصة السيدة الانجليزية التي كانت تعلمه اللغة وتفتح نفسه لمباهج الحياة .

وصور سلامة موسى في كتابه « تربية سلامة موسى» صورة حب في لندن مع فتاة التقى بها في الجمعية الفابية ومعنى هذا ان كتابنا جميعا تحاموا هذا الجانب من الادب وحرصوا على ان لا يتناولوه تناولا صريحا واقعا .

واعتقد ان هذا ما حدث بالنسبة لكتابنا في سوريا ولبنان والعراق والسودان والمغرب العربي ، ومن هنا يمكن القول بان ادب الحب والعاطفة والوجدان لم يكن منطلقا ولا واضحا في هذه الفترة .

ربما كان الشعراء اقدر على تصوير مشاعرهم وربما كان كتاب القصة قد استطاعوا ذلك كما فعل هيكل في قصة « زينب » والمازني في قصة « ابرهيم الكاتب » وابرهيم الثاني . فقد ذكر ابنه احمد عبد القادر المازني ان بعض ابطال هذه القصص معروفون لهم معرفة حقيقية .

وربما كانت هناك اثارة من قصص حب حقيقية واطياف في بعض القصص التي كتبها بعض الكتاب في هذه الفترة .

ولا يمكن ان ننسى هنا فصولا كتبها محمد سعيد العريان في مجلة الثقافة عن حبه المحروم ، من كتاب عنوانه « النار تحت الرماد » يصور فيه حبه واحزانه لوفاة حبيبته ، وهو اول اثر ادبي من نوعه يقف الى جانب ديوان اثات حائرة الذي ظهر عام ١٩٤٢ مصورا حب عزيز اباظه وديوان وحي المراة الذي نظمه عبدالرحمن صدقي في تصوير حبه ، والثلاثة قد فجعوا بوفاة زوجات احببنهن واحرز الادب العربي المعاصر اثارا جيدة من هذه الفاجعة .

القاهرة

انور الجندي

... وعندما غابت « ناديا » تحت جنح الظلام ، احس سمير بالوحدة كما لم يحس بها من قبل ، واتسع الفراغ في عينيه كالفجوه الرهيبة ، وخيل اليه ان قبضة غليظة اخذت تعتصر انفاسه ... ثم دبت خطواته من جديد في شارع « عبد العزيز » حتى اذا وصل الى ناصية الطريق عند أول مفترق ، دلف الى بناية قديمة بعض الشيء ، وارتقى الدرجات الى الطابق الرابع وقرع الباب ... وانقضت فترة طويلة قبل ان يتسرب من تحت المصراعين ضوء خافت مصحوب بوقع خطوات مترنحة ، وعكّر سكون الليل صرير القفل واطل عليه وجه مربد نحيل.. وحدّق اليه الوجه برهة ثم قال :

— انت .. ادخل ...

وبدا لسمير ان ساقي الرجل لا تكادان تحملانه . وبعد ان اغلق الرجل الباب تقدمه الى الردهة المعتمة ، ثم ولجا الى حجرة خلفية مضاءة ووقف سمير على عتبة الحجرة يدير بصره فيما حوله .. انها كالعهد بها لم تتغير .. ادوات الرسم مبعثرة في انحاء الحجره، واللوحات متناثرة على الارض ، والاطباق ملقاة تحت السرير ، والمائدة ملطخة بالالوان والبقع الزيتية ، وعلى حافتها تحترق سيجارة بجوار كأس من الويسكي لا تزال مليئة حتى نصفها ... ووجّه نظراته الى الرجل فرآه قد تهالك على مقعده ، وانعكست ظلال متراقصة فوق وجهه المتغضن ولحيته الكثة ، ورأى الخطوط العميقة قد انتشرت تحت جفنيه المتهدلين وجبينه الكئيب، وخيل لسمير ان شعره الاشعث كان يتحدث بقصة متناقضة متقطعة ، وسمع الرجل يقول :

— انك لم تأت الى هذا المرسم منذ زمن بعيد .

— اجل منذ زمن بعيد .

— ما الذي أتى بك في هذه الليلة .

— الوحدة القاتلة .

— آه .. الوحدة ...

ومد يده الى كأسه وجرع ما تبقى منها ، وصب لنفسه اخرى .. ثم سأل سميرا :

— هل تريد كأسا ...

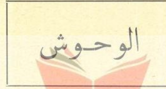
— لا بأس .

— اذن ابحث لك عن كأس فارغة بين هذه « الخردوات » ...

ومضى سمير الى ركن الحجرة فعثر على كأس ملوثة ملقاة بين ادوات الرسم القديمة فتناولها وغسلها ، وتوقف لحظة امام قطعة القماش التي كان يرسمها الفنان .

— هل اعجبتك اللوحة ..

فاستدار اليه سمير ولم يجب ، وصب من زجاجة الويسكي في كأسه،



بقلم صموئيل عبد الشهيد

وتجرعها دفعة واحدة .

— آه .. ماذا بك .. هل انت تعس :

— جدا .

— اذن اشرب كأسا اخرى .

وسكب له كأسا ثانية ، وهدأ سمير بعض الشيء ، وخيل اليه ان صديقه راح يرمقه وكأنه يحاول ان يستشف ما يدور في ذهنه ، وامتلأ رأسه بالضباب الكثيف .. لماذا جاء الى هنا ... كان يخشى هاتين العينين العميقتين اللتين تنفذان الى نفسه .. انهما أكبر منه فلا يجرؤ على النظر اليهما ... واغمض اجفانه كأن النور يبهر بصره ..



— يبدو عليك التعب يا سمير .

— انني متعب جدا ... اكثر مما يجب .

— من منا لا يتعب .. هل انتحر فؤاد حقا ..

واجفل سمير ، وقفز عن مقعده فزعا وحملق بالرجل .. يا لهاتين العينين المخيفتين ، هل استقرتا على شيء غريب في نفسه .. انتحر فؤاد .. انها قصة قديمة يحاول ان يدفنها ولا يريد ان يذكرها فيما بعد. أهذا كل ما يكمن وراء حياته .. الموت .. الموت ... وقال الفنان .

— لقد جاء الى هنا قبل ان ينتحر بيومين .. كان ضائعا في حالة يرثى لها ، وجلس على هذا المقعد بالذات واخذ يبكي .. وهز الرجل رأسه بأسف ولوّح بيده في فضاء الحجرة ... هذه الفجوة التي تبتلع كل الناس بلا رحمة ، دائما متعطشة للدماء ، مصاصة دماء ، ينسلون اليها واحدا بعد الاخر ، وبعضهم يسرعون الخطى اليها كما فعل فؤاد .. هل الموت سبيل للخلاص.. حفرة مظلمة ابشع من الحياة واكثر قذارة .. انهم يهربون من المجهول الى مجهول ارهب واكثر غموضا .. اشرب يا صديقي كأسك ... اشربها .

وفي تلك الليلة نام سمير فوق خوان في مرسم الفنان ، وكان نومه متقطعا تهاجمه فيه الاحلام والذكريات وتدور في صدره فصول مسرحية عجيبة فيتمتم من خلال شفتيه المطبقتين بكلمات ضالة يختلط بعضها ببعض . وكانت احلامه مفزعة ترهق اعصابه وتجعل العرق الغزير يتصبب من جبينه بالرغم من برودة الطقس. ورأى انفاقا مظلمة تمتد امام عينيه لا تتناهى تزعق في منعطفاتها اشباح خفية تدلع السنتها فلا يبين منها الا الوان داكنة ، ثم يصدّع رأسه ضجيج الاف القطارات والعجلات وتهتز حوله الدنيا وتعترضه عبر الانفاق التي تسيّره فيها قوة جبارة لا يدرك كنهها ، نيران لاهبة تندلع بلا وقود..

وبين لحظة واخرى كان صديقه الفنان يرمقه ببعض القلق فيرى توتر اعصابه وانتفاضه كمن اصابته حمى ، ثم يعاود النظر الى قطعة القماش المثبتة فوق لوحة الرسم ، وتظل الريشة تضرب جوانب اللوحة برشاقة وخفة وترسم خطوطا سوداء ونقاطا ملونة وينثر من نفسه رشوشا مبهمة ...

ودقت الساعة تعلن انتصاف الليل ، وتجاوبت اصداؤها في البناية غريبة عميقة كانات الموت وكان يهمس لنفسه : ان اكثر ما اخشاه ان يرتكب حماقة اخرى كما ارتكب فؤاد .. ان هؤلاء الشبان ... وسكت برهة ريثما ينفث حلقات سيجارته البيضاء، وتداخلت في مخيلته ذكريات مطوية يكفنها النسيان وتساءل : هل هي نائمة الان .. ؟ سأذهب اليها على غير موعد ... وفتح زجاج النافذة واطل نحو الطريق واذا بالسيول الجارفة تملأ الشوارع وقطرات المطر تتساقط ، وانتابه احساس عميق بالكآبة التي تلازمه ... يا لهذه الليلة المظلمة .. انه يشعر بأن مشاعر جديدة ابتدات تتوالد في نفسه وتنحرف بحياته الى طريق اخرى غير التي رسمها لنفسه ... انه يحب هذه الطريق ويكرهها ، فهي تسبب له الغبطة والقلق في آن واحد ... ولو شاء .. ! واغلق النافذة ودنا من سمير ومضى يتأمل وجهه الذي سكن بعض الشيء ، وتماثل لخياله الرهيف ان في تعابير هذا النائم القلق صورة حية للوحة ... وتمطى في عروقه حس غاف تلونت معه الرؤى في عينيه ، فنسي المرأة التي كان يفكر فيها، واسرع الى لوحة الرسم فوضع عليها قطعة قماش جديدة وابتدا يرسم ... ومع كل ضربة كان يسكب خفقة من صوره ويعكس تعبيرا من ذاته .. كانت افكاره تختلط بهذا المزيج العجيب الذي كان يغترف منه من تعابير محيا سمير ... ويخرج من هذا المزيج خط عجيب متعرج ينسل بهدوء الى الشكل الكبير المرسوم امامه ... ثم يضيع كل شيء في عينيه ويمتليء راسه بالسحب الدكناء .. ومرة اخرى تنبه على دقات الساعة وهي تعلن الثالثة صباحا فتولاه اعياء شديد ، ولكن ملامح الصورة كانت واضحة ، وظهرت الخطوط الثائرة التي تخط جبين سمير ، ولكن الشيء الذي كان واضحا في اللوحة هي لمحة القلق التي انعكس ظلها في ارتعاشة الشفتين ...

والقى الرجل نفسه فوق مقعد كبير ، ولف ساقيه بغطاء ثقيل ومد قدميه الى الامام ، فشعر بالارتياح ثم اطفأ النور ...

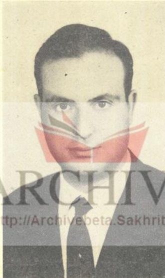
كانت الرياح لا تزال تولول في الخارج حين فتح الفنان عينيه . وكانت موجة من الظلمة لا تزال تغمر الحجرة ، فالقى عنه الغطاء ومضى فأزاح ستائر النافذة ، وما ان تسرب شيء من الضوء الى الحجرة حتى طالعته اللوحة المرسومة بألوانها الحادة فالقى بنظرة وجلة الى سمير فوجده لا يزال يغط في نوم عميق، فاسرع يخفي اللوحة بقطعة سوداء من القماش كانت ملقاة على الارض بجواره ... وتقلب سمير فوق سريره مضطربا .... وتسلل الى المطبخ فهيأ لنفسه فنجانا من القهوة واشعل سيجارة ، ثم عاد الى حجرة مرسمه وتهافت على المقعد الذي لم يزل دافئا ، وفي صمت الفجر الماطر، اخذت الخواطر تلح عليه وتعذبه... منذ زمن بعيد لم يفكر بنفسه بل كان يحاول ان ينسى وجوده ويحيا اللحظة الحاضرة .. لا يريد ان يلتفت الى الخلف حيث تمتد تلك الخطوط السوداء الى مداخل الظلمة ... منذ زمن بعيد .. وسلاحه الوحيد للخلاص من الماضي هو النسيان .. ولكن ، وابتلع نفسا عميقا من الدخان نفثه في الفضاء ... ولكن انتحار فؤاد ، وهذا الفتى النائم هنا على الخوان ... و ... وتقلب سمير على الجانب الاخر من الخوان فنظر اليه صديقه الفنان بعين العطف... لو ان مقدوره ان يقبض على اطراف خيوط مصائر النفس لانقذ الاف الناس .. ولكن من أي شيء ينقذهم ... من الحياة الفارغة التي تتقلص في قعر كأس ... هذا الفتى النائم القلق .. هل اصابه « القرف » كما اصاب فؤاد .. « القرف » من الحياة التي ما فتئت تنخر في بدنه وتلهب اعصابه وتمزق احاسيسه لتتركه بعد ذلك كومة مهملة محطمة.. الحياة كالنار تدفيء وتأكل وما يتخلف عنها سوى الرماد .. حفنة من الرماد تتطاير كالضباب . لا ليس وجود سمير بأفضل من وجود فؤاد . كلاهما يعيش في بوتقة الضياع حيث يفغر اليأس فاها رهيبا ويدلق لسانه المسموم ليقتل ويمزق .. الطريق مسدود في عينيه ويعذبه اعتقاده بأن هناك بقية امل .. ولكن هذه البوتقة السحيقة تزداد اتساعا كلما مرت بها الايام ، تأكل ولا تشبع ... قرف .. قرف.. وهو نفسه حطمته هذه البوتقة ولولاها لكان انسانا اخر لم تتهدل جلدة وجهه ولم ينم شعره اشعث يبعث على النفور ... وتطلع حوله ببعض الاشمئزاز .. وفكر.. انني اسكن في هذه الزريبة كالبهائم ... زريبة لها رائحة كريهة كالعفن ، ولكنه المكان الوحيد الذي الجأ اليه حين اريد ان اكون وحيدا ... الناس لا يحبون هذا المكان ولا يجرؤ على المجيء الى هنا الا من كان مثل سمير .. وفؤاد ... زريبة عاهرات، واللقطاء والمشردين واليائسين ... ومع كل هذا فمن الوحل .. من هنا تخرج اروع اللوحات .. هذه اليد المعروكة التي مزقت لحوم الف عاهرة يمكنها ايضا ان تبدع وتخلق ... واخذ يتطلع الى يده ويتفرس في شرايينه النافرة الزرقاء واصابعه النحيلة المعروكة ... انت اله صغير يصنع من الطين انسانا وفردوسا

وجحيماً يقطنه الف شيطان وعفريت ... أجل هـذه اليد .. ! وابتدات البناية تستيقظ على تباشير الفجر ، وصك اذنيه وقع خطوات ربة المنزل الذي يقع فـوق مرسمـه .. انها الحياة تدب مـن جديد .. دورة واحدة لا تتغير ... ونكـث الفنان سيجارته في المنفضة ومـضى الى النافـذة المغشـاة بأنفاس الضباب فمسحها بيده والصق جبهته السمراء بالزجاج البارد ورنا الى الطريق ... لم يغرب عن باله ماضيه بعد ، فهو في صدره ، هنا ، كالندبة الكبيرة .. طفولته التي تطارده في احلامه ولا تتخلى عن تعذيبه .. وصباه الملون بالشقاء والبؤس .. وزوجتـه التي تركها لرحمة الاقدار ، واطفاله .. أين هم يا ترى الان .. لم يسمع اي خبر عنهم منذ أكثر من عامين ... منذ ان اختفى فانقطع كل ما يصلـه بهم .. انقطع .. وابنه الصغير . كم عمره الان ... واخـذ يعد عـلى اصابعه .. ثلاث .. اربع .. اجـل اربع سنوات ، هكذا كعمر الطيور .. لقد تركهم ومضى الى الفراغ الكبير لبكون حرا .. الى وجود هذا الفراغ .. اما الاخرى ... المراة الاخرى التي اذاب في جسدها اعصابه انها ... وتذكر أنه كان عازما على الذهاب اليها ليلـة امـس .. فلماذا غيّر رأيه ... آه .. انهـا اللوحة ... ورأى في الشارع العام فتاة صغيرة تحمل كتبها وتمضي الى المدرسة في هذا الوقت المبكر من الصباح ... لعل مدرستها بعيدة عنها فخرجت مبكرة في هذا الجو العاصف .. هل تذهب ابنته الى المدرسة ايضا ... كم كانت ذكية ومجتهدة ... امـا المراة الاخرى .. انها له .. جسدها له .. يملكه ويستعبده ، يؤرقه هذا الجسد ، وتلـك القبلات المحمومة والوجه الحزين، والصدر الذي يتوتر تحت اصابعه ، فيحـس به يجرّح صدره. نعم انها تطيعه طاعة عمياء .. هي ملكه .. ولكن ماذا بعد .. ان هذا الجسد نفسه يقتله ويتركه في فراغ ، ويزداد به رغبة واشتهاء ... سيذهب اليها الليلة حيث يحـرق جسده ويترك من نفسه بقايا رماد ..

وصحا من خواطره على حركة سمير خلفه ، فرآه يقف في وسط الحجرة يتأمل حوله ببعض الدهشة ... ثم فرك جبينه بيده كمن كان في غيبوبة ويحاول الان ان يسترد وعيه ، وتفقد ساعته واذ بعقربيها متوقفان فسأل :

ــ كم الساعة الان ..

ــ السابعة تماما ..



صموئيل عبد الشهيد

ونظر سمـير الى هندامه المتجعد وقميصه المتهدل وقال :

ــ لا يمكنني ان اذهب الى الجامعة بهـذا اللبـاس يجـب ان امضي الـى حجرتـي اولا وابـدّل ثيابي ... كم كنت متعباً في هذه الليلة ، خيل لي انني كنت اتقلب في جحيم ...

ــ لقد هذيت كثيرا .. وكنـت مرهقا ... ! وفكر الفنان في نفسـه : لقد كان يلفظ الاقذار التي تراكمت فـي صدره .. رائحـة المزابـل والنفايات .. انه لا يعـرف كـم يختزن في صدره من هذه الاقـذار التي تقتـات عليهـا الديدان ...

ودار سمير في ارجاء المخدع قلقا ، ثم تطلع من النافذة الى الطريق وقال :

ــ لقد كفّت الامطار عن النزول ..!

وتذكر انه حلم من بين الاحلام الكثيرة التي تراءت له انه كان يعارك الامواج في بحر هائج ، فارتطم راسه بصخرة كبيرة سببت له الاغماء ، ولكن الغريب في الامر انه لم يغرق بل ظل طافيا فوق وجه الماء حتى قذفت به موجـة هائلة الى الشاطىء ، وعندئذ فقـط عاد اليه رشـده ..

ــ لم يتوقف المطـر الا الان .. لقد ضايقني ليلة الامس .. !

وبعد برهة اجاب سمير وكأنـه يفيق من غفوة :

ــ الم اضايقك انا الاخر ...

ــ بل على العكس، كنت لي وحيا.

واستدار اليه سمير فـي دهشة وحملق فيه ، فابتسم الفنان بهدوء وقال :

ــ هل تريد ان ترى هذه اللوحة التي رسمتها ..

وحدّق سمير الى قطعة القماش السوداء التي كانت تكسو اللوحـة المرسومة ، وكان الفنان يقف بجوارها هادئا والسيجارة تتوهج بين انامله .. ولما لم يجب سمير اخذ الفنان يكشف عنها الغطـاء شيئا فشيئا ، وبـدا الذهول على وجه سمير ، فتحـرك من مكانه مقطّب الجبين ، وامتدّت يده امامه تشـير اليهـا بشيء من الغباء ، ثم همس بصوت مبحوح .

ــ ما هذا ...

ــ انت فيما كنت نائما .. انظر اليها جيدا .

ونبض في صدره عـرق صغير ، هذا الوجه النائم القلق الذي يطـل منه الخـوف والقسوة ، والشفـاه الراجفة المذعـورة المدماة .. اجـل الشفاه .. ان في اللوحة شيئا مبهما لا يستطيع ان يدركه او يتبين معالم خطوطه ، بلا شكل ولا صورة ، كانما هناك حيوان خفي يتضخم في وجدانه

تارة ويتقلص طورا فينزوي بعيـدا كانه يتحفز للوثوب ، وحين يتمدد يلقي بظله العجيب فوق تعابير وجهه وحركات يديه فلا يبين منه غير هذا الانعكاس المخيف واستمر يحدق بها غير عابيء باللحظات القصار الباقية ، وتصدع في صدره جدار وغمغم ..

ـ انني لا افهم شيئا .

ـ ماذا تريد ان تفهم ..

ـ هذه اللوحة .. انهـا انا .. وليست انا ، انني احس ذلك في نفسي احساسا عميقا لا يراوده الشك، ولكني لا اعرف كيف .. هذه اللوحة، ان فيها شيئا ... واخذ يهز راسه بانزعاج وحيرة ..

ـ هي انت .. انت .. هي ذاتك الضائعة التي تطل عليك من العـدم بحيث تستحيل الـى لوحـة غريبة عنك .. ولقد اردتك ان ترى نفسك في هذا الوعاء الكبير من الفراغ .. الانسان الاخر الذي فيك والذي كنته يـوم امس قبـل ان تقتنع نفسك بالوشاح الجامد المزيّـف .. وماذا تريد اكثر من ذلك ... !

فاطبق عـلى سمـير الصمت ، واستحالت الرؤى في عينيه الـى ضباب متكاثف تفـح فيـه "همسات مسمومة موحية راحت توقر سمعـه وترجّه، ولكنه ظل يحملق في اللوحة ممتقع الوجه تلوح عليه سيماء الكآبة والانكسار، وترامى الى ما وراء حدود ذاته ليبحث عن هذا الوجود الغامض الذي برز له فجأة من الفجوات المظلمة التي احاقت به واتشحت عيناه بلون قاتم من الاسى ، فتملكه التعـب ، واحس بالجوع ينهش في امعائه ، وتمنى لو في مقدوره ان يمضغ لقمة واحدة ويبتلعهـا ... ولكـن هذه اللوحة المكدودة، وهذه الخطوط التي في جبينه ، انها تؤلف بنفسها شبح انسان محطم ، فيها معنـى العبث ، اقرب ما تكون الى العدم ... هـل كان انفه متورّما الى هـذا الحد ، واوداجه منتفخة ، وانحدرت عيناه الى يديه المتشنجتين فوق الغطاء ، فبدت له شرايينه متوترة متضخمـة اكثر مما يجب تكاد العروق تتفجّر ، وخطر بباله خاطر ، فتساءل :

ـ الديك لوحة لفؤاد ...

واختلجت اهداب الفنان وحدجه بنظرة حادة غريبة احس معها سمير ان ومضات عينيه اخترقتا عظامـه فبات عاريـا امامـه كالعذراء التي تجردت من ثيابها . وطافت بـراس الفنان صور متلاحقة عنيفة ، كريهة وازداد اطار الغموض حول لوحتـه ـ فؤاد ... انه يكمن خلف راس هذا المسكين ، يدق افكاره ويهزها ولكنه لا يدري... الفكرة صغيرة كالجرثومة تدب في عروقه ولكنها مؤلمة تنتشر منها العدوى الى بقية اجزاء الجسم.. لو كان يدري ما هو فؤاد بالنسبة اليه لاصابه الفزع .. فؤاد طريق محفور امام عينيه... سبيل نجاة مرعب.. وغض الفنان من بصره وقـال برنة حزينة تنبض ببعض الثورة ...

ـ كلا.. لو كانت لديّ واحدة.. واحدة فقط لرايت صورة اخرى من ذاتك .. ولكنه مضى في تلك الليلة ولم يعد .. ولم اره بعدها ابدا .. انني اكره ان ارى الجثث ..

وانصبّت نار محرقة في اعصـاب سمير فانتفض ، ودوّت الكلمة فـي راسه راعبة :

ـ جثة فؤاد .. انه جثة .. جثة

ـ بل بقايا جثة ، اشلاء ممزقـة كالحطام الذي نعثر عليه على الشاطيء فنركله باقدامنا .

والقى بنفسه على المقعد ، خائر القوى ، افكاره مشدودة الى لحظات الرعب، وظلّت عيناه معلقتين باللوحة المنصوبة امامه كالقضاء الرهيب وجعل يهز رأسه يائسا ... وكان الهـدوء مخيفا ... وانقضت ثوان ثم قـال بصوت خافت مضطرم :

ـ لو كنت مكانك لما رسمت هذه اللوحة .

ـ لماذا ...

ـ انها تخيفني .. تخيفني جدا.

ـ الخوف من الجنون المختبيء في اعماق الانسان ، ولـو نظر كل انسان الى اعماقه لاصابته رعدة ، انا، وانت وكل انسان اخر يشيح بوجهه عن ذاته ، وربما كان هذا خيرا له ، فهناك في القعر السحيق اكثـر من وحش غاضب واكثر من حيّة سامة تفح في الصمت وتزحف في عروقنا ولكننا ندفن هذه الوحوش في قيود ذواتنا ، في الفجوات المعتمة التي لا يصل اليها النور وتترك الحية تنفث سمومها في اعصابنا .. وفـي كل مرة تفقد قدرتنا على الاحتمال تطل هذه الوحوش برؤوسها من دهاليز العتمة وتشرئب بأعناقها الى الخارج فتقذف من افواهها شررا قاتلا ... انت تثور فتحطم وتقتل وتبكي .. وانا اغضب فأقذف بكل ما تصل اليه يداي الى الارض ، واضرب انسانـا ثم اغرق نفسي بين الكؤوس .... وحوش مخيفة تجوس خـلال دروب حياتنا وتمزّق وجودنا ....

واحتدم فـي صدر سمير غيظ رهيب الهب اعصابه فأحس بالنيران تسري في بدنه وتشنجـت اصابعه فوق سترته بعنف ورعدة وارتجفت اصابعه كأن بها مسا من الجنون... خيـل اليه انه يرى انعكاس اطيـاف تلك الوحوش المفزعة عـلى اللوحة المنتصبة امامه ، تدلع لـه السنتها الملطخة بالدم . فامتـدت يده الـى المنضدة وقبضت عـلى مدية كانت ملقاة وتطلع الى اللوحة بحقد مرير، ثم قفز عن مقعده واندفع اليها يطعنها بقسوة ووحشية هاتفـا : الوحوش لتمت الوحوش ! هذا واحد .. وهذا اخـر .. الوحوش المفترسة ... وتجاوبت صرخاته في الحجرة مروعة مرعبة ... ولم يتحرك الفنان مـن مكانه ولم يمنعه عن تمزيق اللوحة بل وقف ينظـر اليه بعتاب ورثـاء .. والتفـت اليه سمير بوجـه شاحب مجنون ورمـى بالمدية الـى الارض وخرج ... وراجـت انامل الفنان تعبث بالخرقة الممزقة ....

صموئيل عبد الشهيد

اغنيـة للمطـر

القصيدة الثالثة

•

ملك عبد العزيز

•

القاهرة



غنيت يا مطر
غنيت لك
دعوت ان تزورنا
يهل موكبك
وعندما اظلني الاسى
وهدهد التعب
غفوت في حضن الدجى ...
أسلمت مفرقي لصدره الحنون
وتهت في بحر السكون !
وفجاة سمعته
سمعت صوتك الصبي
يخبط شباكي
يناديني بلحنه الطروب !
هببت ... في قلبي جلاجل الفرح
ورفرف النعاس من جفني كالطير الطليق !
فتحت شباكي :
لبيك يا حبيب !
القى نجيمات بقلبي
غنى أهازيج الهوى في مسمعي المشوق !
سمعت رعشة الاوراق في الشجر
نشوى بمس قبلتك
فاشتقت يا حبيب ....
لشرفتي عدوت في لهف الهوى
أسلمت صدري للدجى الرطيب ...
رفعت وجهي ...
ما ارق لمستك !
الحب في يديك بهجة وطيب
دنوت ... كم اهواك ما احلى صباك !
حسوت انفاسك نشوى بالشذا النضير ...
وافرحي ...
يشيلني الفرح
كأنني كأنني أطير !

* * *

الصبح يا حبيب لاح ناعم الوشاح
ما زال فى اعطافه اللدان رقة من لمستك
والزهر فتحت عيونه الفساح
مليئة بأدمع الهوى
نشوى بذكرى همستك !
والخضرة المغسولة الازار
تألقت للحب للفرح
وكل شيء مسه جناحك الرهيف
به نداوة ، ونضرة الجديد
حبيب .... كم اهواك ما احلى صباك !
لو مرة اخرى تزورنا
لو مرة تعود !

«النور» اطفال الهند المنسيون

للكاتب الهندي شامان لال CHAMAN LAL

ترجمة مبارك ابراهيم

* * *

في شهر آب من عام ١٩٦٢ ظهر كتاب «النور» اطفال الهند المنسيون . وكانت عبارة الاهداء التي خطها المؤلف تقول : الى زعيمي المحبوب « جواهر لال نهرو » الذي الهمني موضوعات الكتاب والذي أخذ بيدي واعانني وانار امامي طريق البحث والدرس ..

كان مؤلف هذا الكتاب في مطلع شبابه يخوض غمار السياسة بل يخوض عباب الحركة الثورية التي سبقت استقلال الهند . وكان علما من اعلام المتطرفين في حركة التحرر الهندي . وهو اليوم يعتنق الديانة البوذية بل هو راهب من رهبانها المتزهدين وناسك من نساكها المتعبدين .

وقد قام في السنوات الاخيرة بجولات كثيرة في انحاء الدنيا جميعا وهدفه الاوحد ان يكشف عن شيء لا يكاد يقبل التصديق . وهو — على الرغم من ذلك — شيء لا شك في صحته . ذلك هو اثبات العلاقة القائمة بين الثقافة والحضارة في الهند وبين الثقافة والحضارة في بلاد « المكسيك » و « بيرو » واليابان وجنوب شرقي آسيا .. متقصيا في ابحاثه تطورات الفنون والعلوم والديانات في تلك البلدان .

وهو في احدى رسائله العلمية يقرر ان حضارة المكسيك وكذلك حضارة بيرو قد نشأتا على ايدي المهاجرين الهنود الذين اقاموا المدن وشادوا المعابد وارتقوا بالرياضيات ونهضوا بعلوم الفلك وطوروا فنون الزراعة .

وهو في كتابين من كتبه يشير الى الوشائج اللغوية وكذلك الى المشابهات السلالية بين الهنود القدامى وبين سكان بيرو في هذا الزمان .

وفي هذا الكتاب « كتاب النور » يستهدف المؤلف البرهنة على ان هؤلاء الاقوام الذين يوجدون في جموع كثيرة في مختلف الانحاء في وسط اوروبا وجنوبها وكذلك في امريكا انما هم يرجعون الى اصل هندي .. وهم قد هاجروا او قد طردوا من بلادهم على ايدي غزاة اجانب .

ومن القضايا المسلم بها ان النور — وهم اقوام رحالون — يعتمدون في معاشهم على الارتزاق من صناعة السلال ومن الاتجار في الخيل ومن تربية الماشية ومن العرافة ومن ممارسة مختلف فنون السحر .. وكثير من هذه الصفات هي من الامور المسلم بها حتى لدى العلماء الثقات من امثال مؤلفي قاموس اكسفورد .. وانك لتجد قاموسا امريكيا معروفا يصفهم بقوله : انهم اقلية من بدو القوقاز الرحل يمتون الى اصل هندي « وتنتشر اقوامهم انتشارا واسعا في الهند وكذلك في اسبانيا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغوسلافيا وفي كثير من الانحاء الاخرى في وسط اوروبا وكذلك في وسط آسيا »

وقد تحقق المؤلف من تجاربه الخاصة ومما استقاه من كثير من المصادر الاخرى ان النور ينظرون الى الهند نظرتهم الى الوطن الام . وتقول الانباء المتواترة التي توارثوها عن اسلافهم انهم هاجروا من الهند — على حد قولهم — يوم غزا البرابرة الاجلاف بلادهم .. وقد ضرب المؤلف امثلة كثيرة على التشابه بل على المطابقة التامة احيانا بين الكلمات الهندية وكلمات النور .. وقال ان لديهم نظاما يشبه نظام المجالس القروية القائم اليوم في الهند . كما قال ايضا ان عادات الزواج عندهم تشابه عادات الزواج التي يتبعها الهنود في مختلف بيئاتهم .. وقد جمعت احدى جمعيات النور الهنغاريين الفا وخمسمائة اغنية شعبية تجمع بينها وبين الاغنيات الشعبية الهندية رحم ماسة ونسب قريب .

وسواء اكانوا — كما تقول بعض القصص — قد طردوا او كانوا قد هاجروا من الهند ايام غزو الاسكندر او في ايام غزوات محمود الغزنوي فانه مما لا شك فيه انهم فخورون بانسابهم الهندية . وهم جديرون بالدراسة العميقة المشبعة بالعطف على يد العلماء الهنود وتحت رعاية الحكومة الهندية .

شعب تياه فخور

ان اول رجل القى ضوءا علميا على اصل النور كان فاليي استفان VALYI ISTVAN من اهل المجر . وهو راع من رعاة الكنيسة البروتستانتية . وكان هذا القس يتلقى العلم في جامعة ليدن ولقي هناك ثلاثة من الطلبة الهنود . والفى وهو يدرس اللغة التي كان يتكلمها اولئك الهنود ان كلمات كثيرة قد تبلغ الالف تحمل شبها قريبا للغة التي يتحدث بها النور في بلاد المجر .. ومن ثم فقد ثبت عنده ان القواعد والكلمات التي تنطوي عليها اللغة الاصلية القديمة للهند « السنسكريتية » يمكن ان توجد في اوضح صورة في لغة النور الذين يعيشون في تركيا واليونان والمجر وبوهيميا وروسيا وبولندة وسوريا ..

والارشيدوق النمسوي جوزيف الذي كان صديقا حميما للنور . والذي كتب كتابا في نحو تلك اللغة وصرفها . قد استعان بمؤلفات « استفان » واقتبس منها .. وقد درس الارشيدوق اللغات الشرقية . ومنها اللغة الهندية فلما التقى بالنور الرحل في بوهيميا — وكان ذلك في عام ١٨٥٠ — حكت اذنيه كلمات كثيرة يتكلمها اولئك الاقوام .. وقد ادى به التقصي الى الاقتناع بان اولئك

الاقوام السمر الوجوه لهم لغتهم الخاصة الوثيقة الصلة باللغة الهندية .. واستتبع هذا انه اخذ يتحين كل فرصة ليلتقي بالنور فزار مستعمراتهم ومخيماتهم في كثير من انحاء العالم .. وفي المقدمة التي وضعها لكتاب النحو الخاص بلغة النور كتب الارشيدوق يقول : واخيرا قد نجحت في التحدث بلغة النور في سهولة وطلاقة ... واخيرا ايضا كتبت رسالة موجزة في نحو تلك اللغة ناظرا بعين الاعتبار الى القواعد المختلفة للهجات النور الخاصة ولاصلها الهندي .. وقد لقيت اول الامر صعوبات جمة في كسب ثقة اولئك القوم ذلك لانهم لا يحبون ان يتعلم لغتهم غريب من الغرباء .. ولكني يوم بدأت اتكلم لغتهم في طلاقة كسبت ثقتهم . وهم الان يحسبونني واحدا منهم .

ثم مضى الارشيدوق يقول : على راس قائمة اللغات الهندية تقف السنسكريتية وهي اللغة المقدسة لدى البراهمة . وهي التي تتفرع منها كل اللهجات الهندية الاخرى

اما ابجديتها فيرجع تاريخها الى خمسة عشر قرنا وهي تتكون من خمسين حرفا . وهي الحروف التي تعبر في وضوح تام عن الاصوات المختلفة .

والرجل النوري تياه فخور باصله وبامته . وهو يسمي نفسه في انحاء الدنيا جميعا الرم ROM او المانوش MANUSH اي الرجل . وهو يسمي كل رجل من الاقوام الاخرين الجاجو GAJO اي الفلاح وهو يعلي من شأن اصله النقي ونسبه الخالص غير المشوب . ويعبر عن هذا بقوله : انا اسمر .. ولاسلافي وطن .. ولذلك فانا رجل على التحقيق .

وقد تعلم اسلاف النور — فيما تعلموا — ان الناس الخاوي الوفاض هم الناس الذين يملكون كل شيء دون ان يكون في حوزتهم اي شيء .. وان التملك معناه التحديد . وبالتالي معناه الفقر .. وان العطر الذي يفوح من الوردة هو اغلى قيمة من الوردة ذاتها .. وان اولئك الذين لا وطن لهم يتخذون من كل ارض تطؤها اقدامهم وطنا لهم ولذرياتهم ..

وفي عام ١٧٨٠ جمع جرلمان GRELLMAN — وكان من علماء اللغات — عددا من كلمات النور فثبت لديه ان ثلث تلك الكلمات يرجع الى اصل هندي . كما ثبت لديه ان اللهجة التي يتكلمها الناس في سورات بالهند تشبه الى حد كبير لغة النور ..

اما متى ارتحل النور الى اوروبا فامر غير معروف على التحديد .. وبعض الباحثين يرجع بهم الى عام ١١٠٠ من الميلاد .. وقد سمع الناس بهم في جزيرة اقريطش (كريت) عام ١٣٢٢ .. وفي عام ١٣٤٦ ظهروا في جزيرة كورفو .. وفي حوالى عام ١٣٤٠ قدم احد الامراء الصربيين الى دير تيرانا القابع في سفح جبال كرواتيا عددا من العائلات النورية ليعمل افرادها في خدمة الدير كعبيد ارقاء .. ثم ظهر النور في فترات متقاربة بعد ذلك في مولدافيا وفي المجر والمانيا وسويسرا في مدينة زيوريخ .. وفي عام ١٤٢٧ ظهر بعضهم في باريس وهم يعملون عرافين وعرافات . ثم عبروا جبال البيرنه (البرانس) الى اسبانيا وهناك التقوا باخوان لهم كان اسلافهم قد جاءوا من شمال افريقية منذ قرون مضت.

ويقول صموئيل روبرتس وهو حجة في الشئون المتعلقة بالنور :

ان النور — فيما يبدو لي — هم كالطير التي لا اوكار لها ولا وكنات . وهي تغدو خماصا وتروح بطانا . ذلك لان الله يرزقها ويتولاها بالعناية والرعاية .. ويبدو ان النور قد تفردوا بين الخلائق كلها بالاعتماد — على الله وحده فهو الذي يطعمهم ويسقيهم .

وهم يعيشون بين ظهرانينا عيش المنبوذين ولكنهم على الرغم من ذلك يستشفون اسرارنا ويقراونها علانية . وهم يعرفون عنا اكثر مما نعرف نحن عن انفسنا .. وهم حلقة الاتصال بين الشرق والغرب .. وهم يؤدون الرقصات الاسبانية الشعبية ابرع مما يؤديها الاسبان انفسهم .. وهم يعزفون الموسيقى المجرية احسن مما يعزفها اهلها .. وهم يعملون اعمالا قليلة ولكنهم يعملونها احسن مما يعملها الاخرون . وهم لا يخلقون شيئا ولكنهم يكتبون الخلود للاشياء الموجودة من قبل ..

والنور يمثلون الطبيعة قبل ان تمسها يد الحضارة ويمكن حسبانهم ملخصات حية للشعراء وللرياح .

والنوري يفعل كل ما يحلم به .. ووجهه هو الوجه الاوحد في استمتاعه بالحرية والانطلاق وكل من يحاول ان يطمس حرية النور او يمحوها فانه يشن حربا على الفطرة والغريزة .. وانه يحاول ان يستل من الانسانية ألمع ومضاتها .. واندر نبضاتها ..

والاقوام النور لا يولون وجوههم شطر المدن الكبرى . تلك المدن التي كانت في حين من الاحيان تتميز بالجمال وتتسم بمظاهر الانسانية فلما غشاها الدخان وعمها الضجيج . وزحفت فوق طرقاتها افاعي السرعة . انحطت قيمتها وانحدرت حتى اشبهت آلة ضخمة لا عمل لها الا تنشئة اجساد لا روح لها . وهي اجساد تقوم شاهدا لا يكتم الشهادة على الدمار والانحطاط ..

اقوام يطوفون في البلاد منذ الفي عام

اقوام تتميز حياتهم بالخفاء والغموض . اقوام غير مستأنسين . يعيشون عيش البداوة . اولئك الاقوام النور الذين طوفوا بكل بلد من بلاد الدنيا جميعا .. والجماعات الرحل منهم لم تتبدل ملامحهم عن ملامح اسلافهم الاولين . وقوام تلك الملامح : شعر اسود فواج. عيون سود . بشرة سمراء .. ولكن القبائل التي استقر بها المقام قد اخذ افرادها يتشكلون خطوة بعد خطوة

حتى لقد اصبحوا اكثر شبها بشعوب البلاد التي يعيشون فيها .. ويقال ان الروح النورية قد وجدت في الموسيقى متنفسا للتعبير عن نفسها .. وقد ظهر من بين صفوفهم كتاب وفلاسفة وشعراء، وراقصون وراقصات . وفنانون وفنانات .. وعلى الرغم من ذلك فان الكثرة الكاثرة منهم لا يستطيعون مقاومة ميولهم في ان يعيشوا في العراء . وفي الاستمتاع بالهواء الطلق ..

اكثر شعب عانى الاضطهاد

هناك مثل من امثال النور يقول : ان الالم والعذاب هما شارتان من شارات الشرف .. لقد لقي النور من الاضطهاد الوانا على ايدي كثير من الدول فانجلترا وفرنسا والمانيا والنمسا واسبانيا كلهم يتقاسمون - في انصبة متساوية - صفحات السجل غير المشرف في هذه القضية. ففي عام ١٤٩٨ اصدر مجلس الريشتاغ المنعقد في مدينة سبير امرا يقضي بطرد النور بوصفهم خائنين لجميع الدول التي تدين بالمسيحية .. وفي عام ١٥٠٠ صدر في مدينة اوجسبرج قانون يجعل من الامور المحرمة ان يسمح للنور باختراق البلاد . ويجعل كل جوازات المرور التي سبق ان منحها الامراء جوازات ملغاة وباطلة بطلانا اصليا .. وتبع ذلك ان بدات عملية الاضطهاد وجربت كل طريقة ممكنة بغية تخليص البلاد منهم . ثم صودرت املاكهم على تفاهتها وصغر قيمتها . وتكررت بعد ذلك نوب الاضطهاد الى ان بدات الامور تتبدل وذلك يوم قام جرلمان GRELLMAN ورجع بانساب النور الالمان الى اصل هندي . فأضفى هذا الزعم شيئا من التشريف لهم في اعين الالمان . وصان حياة كثيرين من النور الالمان ومن اخوانهم في بقاع اخرى من الارض . وكان هذا امرا موقوتا .. فلما نشبت الحرب العالمية الثانية نسي هتلر كل ما قيل عن الاصل الآري للاقوام النور وامر بافنائهم تقتيلا وتذبيحا .. وقد قتل منهم في بلاد البوسنة وحدها ثمانية وعشرون الفا . وقتل منهم في اوكرانيا يوم اغار عليها الالمان الوف والوف على ايدي الجيش الالماني ..

وفي النمسا لقي النور في منتصف القرن الثامن عشر اشد ضروب العنت . ففي عام ١٧٠١ اصدر الامبراطور ليوبولد امرا يقضي باعتبارهم خارجين على القانون بل محرومين من حماية القانون ..

وفي عام ١٧٢٦ اصدر شارل السادس امره بتذبيح كل الرجال من النور واستحياء النساء والاطفال الذين تقل سنهم عن ثمانية عشر عاما على ان تصلم اذن واحدة من كل فرد منهم .. وتفردت بوهيميا بصلم الاذن اليمنى وتفردت سيليزيا بصلم الاذن اليسرى ..

وفي نهاية القرن الخامس عشر كانت اسبانيا تخوض المعركة . معركة اضطهاد النور وفي عام ١٤٩٢ كان حتما على اقوام النور ان يرتحلوا الى شمال افريقية او الى اوروبا ولكن الاكثرية منهم ظلوا مقيمين وقد تواروا في اماكن غير مطروقة بل في الكهوف ان دعا الداعي . وبذلك كانوا ينأون بانفسهم عن مباءات الاضطهاد على ايدي الملوك .. وفي اسبانيا لا يسمح للنور حتى يومنا هذا ان يستعملوا لغتهم الخاصة بهم ..

اما في فرنسا فقد قرر برلمان اورليانس في عام ١٥٦١ ابادة النور ابادة تامة وقد تجدد هذا القرار في عام ١٦١٢ ذلك لان النور كانوا قد تضاعف عددهم على الرغم من قرارات الابادة .. وفي عصري لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر كانوا يقتلون بطريقة منظمة وقد حدد ثمن لراس كل نوري ونورية .. وكان الناجون من عذاب السجون يشدون الى السفن الذاهبة الى المستعمرات الفرنسية .. وفي اقليم الباسك وحده كان تعذيبهم اخف وطأة . ولهذا فان اكثرية النور الفرنسيين ما زالوا مقيمين في جنوب فرنسا .. وفي عام ١٨٠٢ ازيحت بعض جماعاتهم الى شمال افريقية . وان كان لا يزال منهم الى الان عدد يتراوح بين الثلاثين والخمسين الفا ينعمون بالعيش الهنيء في جنوب فرنسا .. وقد التقيت في شهر مايو من عام ١٩٦٠ ببضعة الاف منهم وذلك في الاجتماع السنوي الذي عقد هناك ..

اما في انجلترا فقد كان ينظر اليهم في اول امرهم بوصفهم اغرابا نازحين يستحقون الصدقات فكانوا لذلك في مركز ممتاز جعل كثيرين من غير بني جنسهم ينضمون اليهم ويتزيون بزيهم ويتخذون سماتهم .. ولكن ما ان بدا القرن السادس عشر حتى نشر اول قانون يناوىء النور .. وفي عام ١٥٣٠ وتحت حكم هنري الثامن صدر قانون يحرم على النور ان يدخلوا انجلترا . ويقضي على كل من سبق له الدخول ان يرتحل في غضون ستة عشر يوما .. وكل من خالف نصوص هذا القانون بأن بقي في البلاد او عاد اليها بعد رحيله صودرت ممتلكاته وقسمت مناصفة بين التاج وبين من ألقى القبض على صاحب الممتلكات المصادرة .. وقد ظل اولئك الاقوام يعانون من الاضطهاد الوانا في الفترات التالية .. هذا والتشريعات التي يمكن ان تمس النور في انجلترا اليوم قوامها ذلك القانون الصادر باسم قانون الاطفال (١٩٠٨) والذي يعاقب المتشردين الذين يصدون اطفالهم عن التعليم . وكذلك قانون المساكن المتنقلة (١٩٠٩) الذي يقضي بتسجيل العربات والمخيمات وما اليها كما يقضي بأن الاطفال الذين يقيمون في مثل تلك المساكن يجب ان يرسلوا الى المدارس كما يقضي باتخاذ اجراءات صحية معينة ..

واليوم وتبعا لتحسن الاحوال في كل البلدان فان النور يلاقون معاملة انسانية .. وفي بلدان اوروبا الشرقية والوسطى يلاقون اليوم تشجيعات خاصة . وتمنحهم الحكومات منحا سخية لتعليم ابنائهم ولايجاد اعمال لهم في الزراعة والصناعة .. ولقد زرت عدة مدارس للنور

بي اوروبا . واستقبلني ابناؤهم في كل مكان . وكانت تحياتهم لي رقصات واغنيات . اقتبس بعضها من افلام هندية ..

وفي رومانيا وبلاد المجر وفي تشيكوسلوفاكيا وبلغاريا عمدت الحكومات الى رد الاعتبار للنور بأن اتاحت لهم العمل في المصانع وان خولتهم حق الانضمام الى الجمعيات التعاونية الزراعية ..

وفي يوغوسلافيا تنفق الدولة اموالا كثيرة في تعليم النور وتهيئتهم ليصبحوا مواطنين سعداء صالحين .. وتحذو السويد وفنلدة في ذلك حذو يوغوسلافيا ..

أساتذة الموسيقى الخالدة

نبتت الموسيقى في الهند وظلت تنمو في غير توقف او انقطاع قرونا عديدة . ولقد قال عالم من خيرة العلماء الثقات ان الموسيقى قد تكون اعلى الفنون الهندية سموا وارتقاء . واننا نحن ابناء الغرب علينا ان نتعلم منها الكثير .

ويقول ارفنج براون عن الموسيقى التي اخذها النور عن الهند : ان الرجل النوري محافظ على القديم . غال في محافظته . وبه شغف اي شغف بكل شيء يمت الى النور بسبب ..

والملامح البارزة في حياة النور قوامها البداوة . ومن أهم الصناعات التي تصاحب عيش البداوة هي صناعة الفنان .. وكلمة البوهيمية التي اشاع استعمالها مرجيه MURGER المتوفي عام ١٨٦١ قد نقلها عن الوصف الفرنسي الذي كان يطلق على النور . ثم امتد استعمالها فأطلق على العيش الذي يشبه عيش النور . والذي كان يعيشه جماعات الشبان من الشعراء والرسامين والموسيقيين ..

ثم يمضي ارفنج براون فيقول : ان النوري لا يحب المال من اجل المال . ولكنه يحبه ليتخذ منه دليلا على انه قادر في فنه . بارع في كيده . وعلى انه شديد المحال .. وهو يسارع الى انفاقه في بعض ما يدخل السرور على نفسه .. وكيفما كان الامر فان النوري والفنان لا ينزل الفقر بساحتهما ابدا .. ومن الفرديات التي يرددها النوري قوله : على الرغم من انك تدعوني بالشحاذ وبالدنيء الوغد فاني املك قصورا اربعة هي : المستشفى . والسجن . والكنيسة .. ثم القبر .. ولقد ذكرت هذه الاغنية ذات يوم وانا اشاهد بعض النور وهم يضحكون . ويغنون . ويتسولون امام كنيسة من كنائس اشبيلية . .كما اذكرتني هذه الاغنية الشاعر بول فيرلين وقصيدتيه : «سجوني» و « مستشفياتي » والنور لما غادروا موطنهم في الهند منذ الف عام طوفوا بايران وارمينية وتركيا وشبه جزيرة البلقان . ثم حطوا الرحال في بلاد اليونان حيث يظن انهم بقوا مائتي سنة او اكثر قبل ان يتفرقوا في وجهات مختلفة في انحاء اوروبا . وذلك في بداية القرن الخامس عشر .. والموسيقى التي جاء بها من الشرق ومن الشرق الادنى هذا الشعب الذي في طبيعته الغناء لا بد انها كانت موسيقى شرقية خالصة النسب ..

ولا يزال حتى اليوم في فرنسا وبريطانيا عديد من الموسيقيين النور . ولكن موسيقاهم لا تختلف في جملتها وتفصيلها عن موسيقى تلك البلاد ..

والموقف في اسبانيا يختلف اختلافا كليا فقد ظل القسم الجنوبي من شبه الجزيرة ثمانية قرون تحت سلطان العرب . وقد بلغت الحضارة العربية اقصى ذراها في تلك القرون . وكانت تلك الحضارة وليدة اثار محلية .. وعلى كل وجه من وجوه الاحتمال فان النور في بلاد الاندلس مع احتفاظهم ببعض صور رقصاتهم وموسيقاهم القديمة فقد ساعدوا في تطوير الاغاني الاسبانية العربية ..

ومن ناحية اخرى يقول احد الثقاة من علماء الموسيقى : اني لاعتقد اعتقادا جازما ان بيتهوفن قد تعلم شيئا من الايقاع الموسيقي المعقد والسريع التبدل الذي تتميز به موسيقى النور المجريين في مدينة فينا .. وهذا عالم الموسيقى المجري فرانز فون ليست المتوفي عام ١٨٨٦ يعترف اعترافا مؤكداً بأنه مدين دينا فنيا لاولئك الاقوام.

ثم يقول ارفنج براون : وبالطبع ليس النور وحدهم هم الذين تفردوا بالبراعة الموسيقية فان هناك اقواما بدائيين سواهم يتقنون فن الايقاع الموسيقي اكثر منا ويضرب مثلا على ذلك بزنوج أفريقية فقد اوتوا اذانا موسيقية غاية في سلامة الحس وان كانت موسيقاهم قد انحطت الى حد ما يوم تم الاتصال بين موسيقاهم وموسيقانا .. ثم يستطرد فيقول : ان هناك لدى النور موسيقى حسنة قيمة وموسيقى رديئة تافهة .. ولكن قبل ان يصدر المرء حكمه على تلك الموسيقى بل قبل ان يتذوقها ينبغي له ان يتعلم طرائق التعبير في تلك الموسيقى .. والمعروف ان المرء لا ينتظر منه ان يصدر حكما على قصيدة من الشعر في لغة اجنبية ما لم يكن على دراية بتلك اللغة وبأصول قوافيها واوزانها ..

والموسيقى هي لغة الانفعالات والاحاسيس . وهي اقدم من لغة الكلام . وهي لغة متشعبة . وهي لغة متعددة الوان الجمال ..

وهناك حكاية تروى وهي انه في عام ١٨٢٥ دعي رجل من النور اسمه بيهاري الى مدينة فينا ليعزف امام الامبراطور وامام الاميرات والنبيلات . فلما رأينه اكبرنه وفتن بسحر عينيه . وودت كل واحدة منهن ان تظفر بوده . ثم اعجب الامبراطور بعزفه وطلب اليه ان يبدي رغبة من رغباته . وقال له : سوف تؤتى سؤالك حتى لو كان لقبا من القاب الامارة .. ولكن بيهاري وهو النوري الخالص النسب . وهو الفتى الاجود المسماح . طلب ان يمنح كل فرد من افراد فرقته لقبا من القاب التشريف . مبررا طلبه بأن النوري لا يستطيع ان يستأثر وحده

بالخير .. ثم جاءت ماري لويز تسأله ان يقدم اليها زوجته فلما رأتها توسلت اليه ان لا يحدق النظر الى عيون الاميرات . ذلك لان زوجته يفوق جمالها كل جمال .. وكان بيهاري وهو السخي بطبعه . الطلق اليدين بفطرته. يفرق كل ماله على كل صاحب حاجة . ومن اجل ذلك فقد مات فقيرا معدما ..

ومما يروى عنه انه ما القى في حياته نظرة على النوتات الموسيقية . ذلك لانه لم يكن يعرف قراءة تلك النوتات .. وعلى الرغم من ذلك فقد كان يعزف كل مصنفات كبار الملحنين .. وكان يكفيه ان يستمع الى المقطوعة الموسيقية مرة واحدة ليضفي عليها لونا ابهى وصورة انضر . وليعزفها احسن مما عزفها صاحبها ومنشئها ..

الزواج والاخلاق ..

ان مواد القانون النوري تذكرنا بقوانين مانو MANU وقوانين النور تشهد لاولئك الاقوام بسمو المبادىء الخلقية . وذلك في الازمنة السابقة لمغادرتهم البلاد الهندية .. وطبقا للقانون النوري محظور على النوري ان يسرق اخاه النوري ... وهو يقضي على المدين ان يقوم بوفاء الدين في مكانه وزمانه المتفق عليهما .. كما انه محظور على النوري ان يغش احدا من بني عشيرته .. وهو مفروض عليه ان يقول الحق . كما ان عليه ان يكون في عون اخيه .. ومخالفة هذه المبادىء يعاقب عليها بدفع اضعاف المبالغ المسروقة او مبالغ الدين التي لم تؤد .. وفي حالات الغش والتضليل تكون العقوبة اما الاشغال الشاقة واما الجلد . واما النفي والابعاد ..

والزنى وخيانة المراة لعهودها يعاقب عليهما بالنفي . وكانت العقوبة في سالف الازمان تشويه الوجه او التشهير والفضح وحلق الشعر ..

اما الرجل الزاني فقلما يعاقب . وقد كان فيما مضى يعاقب باطلاق الرصاص على ذراعيه او ساقيه .. ومفروض على الرجل والمراة ان يسود بينهما الوفاء والوفاق . وبخاصة اذا كانا قد انجبا اطفالا .. وكان الزوج ـ فيما مضى ـ يعبر عن حبه المتين المكين لامراته. وذلك بضربها ضربا مبرحا موجعا . وهي تقبل منه هذا الصنيع كآية من آيات الحب .. وعند النوري الخالص النسب يعتبر النفي والاقصاء عن حظيرة المجتمع النوري اقسى واقصى عقوبة يمكن ان توقع على واحد من اعضاء تلك الجماعة ..

وادانة المتهم او براءته تقرر وفقا لحكم الاكثرية او الاقلية من الشهود الذين يجيء بهم اطراف الخصومة ..

وهناك عقوبات على السرقة والخديعة .. ان مرتكب هاتين الجريمتين ملزم بأن يرد المبالغ المسروقة اضعافا مضاعفة او ان يؤدي ما يوازي قيمتها من النبيذ (وذلك في ترنسلفانيا) او ان يجلد (وذلك في مولدافيا وولاشيا).

ومع هذا فان هذه الجرائم بذاتها اذا وقعت على افراد ليسوا من النور فلا عقوبة عليها اطلاقا ..

وفي زمان مضى . وعند بعض النور الذين استقروا في ترنسلفانيا كان الزواج الذي يتم على غير الاصول المقررة عند النور يعاقب مرتكبه بالنفي من البلاد .. وفسخ عقود الزواج ليس امرا شائعا عند النور الانجليز.. والزيجات التي امتد زمانها فترة غير قليلة قلما تنتهي بالانفصال بالطلاق . وان كان الطلاق امرا ممكنا دون اتخاذ اي اجراء رسمي ..

وعفة البنات وسلامة بكارتهن من المسائل التي يحرص النور عليها كل الحرص .. وذلك بسبب النواحي المشددة التي تحرم الاتصال الجنسي قبل الدخول بالفتاة .. ثم ان الزواج في سن مبكرة وكذلك قصر مدة الخطبة هما من العوامل الفعالة التي تكفل عفة الفتاة ..

ومن الجدير بالذكر من ناحية اخرى ان الفتيات غير المتزوجات يجوز لهن احيانا ان يساكن ويعاشرن ازواج اخواتهن المتزوجات ..

والفتيات بصفة عامة غير مسموح لهن بتاتا ان يلتقين بأحبابهن في خلوة ..

ويقول أحد العارفين بعادات النور ، وهو المؤرخ المجري جوهان هينريك شفيكر (١٨٣٩ــ١٩٠٢) انه اذا اولع فتى من فتيان النور بحب فتاة اناب واحدا من اصحابه وفوض اليه الامر في ان يراها حتى اذا راقت الفتاة في عين هذا الصديق اعلن للفتى العاشق انه لا يمانع في اتمام الزواج .. ثم يذهب الصاحبان الى ولي الفتاة فيخطبانها. فاذا قبلت الفتاة الخطبة كان عليها ان تظفر برضا ابويها وان تحدد معهما مقدار المهر .. ولن يسمح للفتى بأن يزور فتاته قبل الفراغ من كل هذه المراسم .. وفي الزيارة الثانية للفتاة يقدم الخاطب اليها قطعة من النقود الفضية بعد ان يقبل النقود توكيدا للخطبة . ثم يهديها منديلا تضعه فوق راسها فورا ان كانت قد احبت خطيبها حقا ..

ولكي تعرف الفتاة اي رجل من الرجال سوف تتزوج فهي تلجأ الى السحرة والى الضاربات بالحصى . ثم الى الرقى والتعاويذ التي تتلوها وتصنعها الساحرات ..

والمتبع في ايامنا هذه ان يلتقي الفتى والفتاة من النور بعيدا عن اعين الرقباء وذلك قبل ان يطلبا موافقة الابوين. متجاهلين بذلك كثيرا من العادات القديمة ..

ثم يستطرد «شفيكر» فيقول : ثم يطوف العروس ومعه بعض الموسيقيين بأصحابه وذوي قرابته يدعوهم الى حفل الزفاف .. وهو يقوم بهذه الدعوة راقصا ومغنيا ومطالبا بالهدايا والالطاف ...

القاهرة مبارك ابراهيم

شاطىء العمر

من ديوان «شاطىء العمر» الذي يصدر قريبا

هذه بقايا نبضات سجلتها في مطلع الشباب والنفس ثائرة ، والقلب محتدم ، والروح تتوجس قلق . اعود اليها بعد هذه السنين الطوال لانشرها بين الناس ليعلم الشباب كم كنا نعاني طليعته في الاربعينات من هذا القرن

عبد العزيز الدسوقي

القاهرة



عادت ، تسربل بالظلام ربيع ايامي ، ونفسي ؟
عادت كهمس الغيب . توقظ في دمي ، احلام امسي
عادت بأشواق الحياة ... تصبها .. طوعا .. بكاسي
عادت بكل صفائها ونقائها ... وبكل انسي !
عادت لتحيا برهة صماء في بيداء حسي !
عادت لتغمس طهرها العلوي في ظلمات رجسي !
عادت ... وكانت فوق اوهام الحياة .. هناك تمسي
عادت من الشط البعيد ... من الرؤى .. من كل قدس
عادت مجنحة العواطف ، والخواطر ، ذات بأس
عادت ... ترانا نلتقي روحا لروح ؟ ؟ ويح نفسي !

انا لم اعد « يا سلو » روحا هائما عبر الطريق
يحدو بموسيقي الحياة ، يواكب الفجر الرفيق ! ..
يسري مع الليل الرهيب ... يموج في عطر الشروق
يحيا مع المثل الرفيع ... يهيم بالروح العميق !
اصبحت جسما عارما ... عصفت به روح الحريق !
أضحيت فكرا ... كافرا بالخير ... بالمعنى الطليق
بالنور ... بالاوهام ... بالاحلام في دنيا البريق
اضحيت عملاقا يهرول . في الحياة ... بلا رفيق !
يمضي على درب السنين ... ليقطع العمر السحيق
حتى يعود ... كما أتي به ... لم يدر أيان الطريق ؟

علمتني رجس الحياة ، سلبتني طهري الرفيع
لقنتني لغة الدماء .... وكنت راهبة النجيع
لقنتني الشك الكثيف ... فعشت كالشلو الصريع
لقنتني اليأس المرير ... وكنت كالطود المنيع
حاولت ان أبقيك روحا آسيا قلبي الوجيع
فسخرت من قلبي ... ومن طهري ... ومن هذي الدموع
فغدوت شيطانا ، اعربد في الحياة ، مع القطيع
وحطمت جسمك بالخطيئة .. بين رعشات الشموع
ووطئت روحك بالنعال ... فصرت كالمعنى الوضيع

وهربت من ايامك التعساء ... من هذا النقيع
وبكيت يا بنت الخطيئة . في الضجيج .. وفي الهجوع
واخذت طاقة طهري السامي ... وعشت على الدموع
حتى تهدم جسمك الريان ... في دنيا الصقيع
وقضيت نحبك يا رفيقة ... بين آهات الجميع
وبكيت يا حسناء من قلبي . ومن روحي الصديع
لم ابك يا شقراء الا طهري الدامي الصريع
لم ابك الا عالما ... للنور ... للمثل الرفيع
للحق ... للاحلام ، للانغام للمعنى البديع
لم ابك الا روحي المحطوم ابان الربيع

« يا سلو » عودي فكرة رفافة عبر الغمام
عودي الى الشط البعيد ... هناك احلام السلام
عودي ولا تأتي ... ففي شطي تهاويل الظلام
انا حفنة من رجس هذا الشط .. من لؤم الانام
هل حن روحك للتراب ... وللمعارك ... والخصام ؟
قطعان هذا الشط يا حسناء لا ترعى الزمام
عودي لشطك .. لا تعيشي فكرة بين الرغام
اهواك روحا .. عاد للشط الامين بلا زحام
اهواك (يا سلو) الحبيبة فكرة فوق الغمام

اهواك دنيا صفتها « يا سلو » من نفسي وحسي
أترى اعود ... ونلتقي روحا لروح ؟ ... ويح نفسي



عبد العزيز جادو

ايها الانسان انك اعجب ما في الوجود

بقلم عبد العزيز جادو

* * *



اذا سألك سائل عن : اعجب شيء في الوجود ، فماذا انت قائل ؟ وماذا يكون الجواب ؟ اهو الترتيب البديع المتعتن ، والنظام المحكم ، لتعاقب فصول السنة ؟ ام هو حركة المد والجزر ، تلك الحركة الازلية ، الايقاعية ، الرتيبة ؟ ام هو النظام الرائع ، الجليل ، والنمط المتسق السامي ، الواضح ، في المجال المهيب للاجسام العلوية المجيدة في افلاكها ومداراتها وفي مسار النجوم حول الشمس ؟ ام يكون في الاعمال العظيمة والاسرار العميقة لظواهر الطبيعة كلها او بعضها ؟ اهو الحب ، ام العقيدة ام اي عاطفة من العواطف المختلفة ، ام اي انفعال نفساني من الانفعالات المتباينة والاحساسات التي تثيرنا وتستفزنا ، في بعض الاحيان ، وتدفعنا الى اعمق الاغوار ؟ اهو الكهرباء ؟ ام المغنطيسية ؟ ام قوة الغاز ؟ ام هو الامتزاج الكيمي ؟ ام الطاقات المختلفة سواء أكانت فيزيقية ام كيميائية مما استخدمها الانسان في السنين الاخيرة وكانت من اعجب العجائب ؟ اهي القنبلة الهيدروجينية مثلا ؟ ام النووية ؟ ام مراكب الفضاء؟ ربما يذهب تفكيرك الى مجالات الاختراع او الاكتشاف ، او التقدم في الميكانيكا او في اي فن من فنون الصناعة التي بلغ بها الانسان اليوم الى اعلى درجات الكمال ؟

اذا كانت اجابتك تشير الى احد هذه الاشياء او كلها فانت مخطىء أشد الخطأ ! .. وانت مخطىء كذلك ان ذهبت بعيداً للبحث عن أعجب شيء في الحياة طراً . فهو اقرب اليك من حبل الوريد . . انه انت . . انت نفسك!!

اذن انت ، انت أيها الانسان، اعجب شيء في الكون كله!

لقد اطلت كثيرا في صيغة توجيه السؤال لكي ادفع انتباهك الى التركيز عليه . لان هذه الحقيقة الكبيرة الاساسية يجب ان تكون بمثابة حجر الاساس نرسيه لنبني عليه موضوع البحث في هذا المقال . ذلك لانك اعجب شيء في البرية . .

اولا وقبل كل شيء ربما تكون قد اغريت للاختلاف معي في هذا التقرير . ويمكن ان اسمعك تقول : « لماذا يقول اني اعجب شيء في الكون ، بينما انا ، انا نفسي ، اعرف اني لا يمكن ان اصل في القيمة الى هذا الحد من النهج العظيم للاشياء ؟ »

ولكن دعني اوجه انتباهك مرة اخرى الى تقريري : انك — انت الحقيقي ، اي انت نفسك — اعجب شيء في الدنيا ! . . انك ربما لم تفكر في نفسك بهذه الطريقة من قبل . ولكن بمن تكون قد وجهت اكثر اهتمامك ان لم تكن وجهته لنفسك ؟ . . ومن ذا الذي يهمك امره ان لم يكن يهمك امر نفسك ؟

اما من جهة ان لك دخلا في امر عالمك الذي يتدفق وينساب منك ، فهذا صحيح . . ومهما كان شكل عالمك هذا او صورته او لونه او حركته فهو انما ينشأ من موقفك واتجاهك العقلي حياله . والعالم ، بالنسبة لك ، يتركز فيك ويتجمع حولك . اما الصور الذهنية التي تسجل فوق لوحة شعورك فهي تولد وتبدع استجاباتك العاطفية، وتلهم جميع مظاهرك او افعالك تجاهه .

اما انك لم تكن تدري هذه الحقيقة من قبل ، فهذا امر واقع لا خلاف فيه ولا نزاع عليه بالنسبة لقانونيته وصلاحيته وقيمته .

والجهل بأحد القوانين او بأحد المبادىء لا يغير ولا يبدل من صلاحيته او صحته بأية كيفية كانت . فالقانون او المبدأ في هذه الحالة قطعي لا يرد ولا ينقض ، سرمدي ، ازلي . ومن الغباء المطبق بل ومن الحمق ان ننكره او نكذبه او نرفضه لمجرد اننا لم نفكر فيه من قبل .

ومبدأ القوة في الهواء المضغوط ان الانتاج الدائم اللانهائي من النسل الادمي ، عاش ونما ومات بدون ان يستفيد بمزاياه العجيبة وفوائده الجليلة ولم يعمل على اي تغيير طفيف في سطوة هذا الهواء المضغوط وقوته .

وهذا نفس ما يقال عن الكهرباء والغاز والتمازج الكيميائي والطباعة والتصوير والطيران والراديو وغير ذلك من الاختراعات القديمة الجديدة التي تهيىء لنا اليوم اسباب الراحة والرفاهية وتمد لنا يد العون في كثير من شئون حياتنا، وتساعدنا في الحصول على احتياجاتنا ومستلزمات معيشتنا . لقد كانت هذه المخترعات موجودة في الدنيا دائما منذ زمان وفي كل الازمان ، ولكنها بدات تقوم بخدمة

الانسان منذ بدأ الانسان يتعلم كيف يكتشفها وكيف يستخدمها . وكلمة « يكتشف » معناها « يزيح الغطاء » او « يظهر » او ينشر ويذيع . ولكنها لا تدل على الخلق من جديد او ايجاد شيء مره اخرى . وانما هي ، بالاصح، العمل على الكشف عن شيء جديد والتدرب عليه ، او ايجاد حاجة جديدة من الحاجيات التي يتضح لنا منفعتها وعدم الاستغناء عنها والتمرن على استعمالها .

وغرضي الذي اقصده من هذا هو : ان اساعدك على ايجاد « نفسك » واكتشافها وازاحة الغطاء عنها ، ومن ثم تكون قد تعلمت ماذا تكون ، وتفهمت جيدا حقيقة نفسك، ودرست المبادىء التي غدوت عن طريقها ما انت عليه ، ولكي اساعدك كصديق ، على جعل هذه القوى المستكشفة حديثا ، وهذه المبادىء الجديدة المستحدثة ، تقوم بعملها الايجابي الفعّال في تهذيب نفسك وتقويمها حتى ترفع من شأنك الى أعلى الدرجات وارقاها .

ولنعد مرة اخرى الى تلك الحقيقة المركزية ، وهي انك اعظم شيء في العالم .. أليس صحيحا ان اترك الاستجابي للدنيا عن نفسك ، او مضاداتك (١) عن نفسك هي التي تلهم وتلقن سلوكك وتصرفك ، وهي التي تشكل خلقك وسجاياك ؟ وبعبارة اخرى ، أليس في اتجاهك العقلي نحو الناس والاشياء والحوادث ما يفسّر العالم ويوضّحه من حولك ؟ نعم ، انه يقع برمته في فكرك ، وفي اسلوب تفكيرك العادي . ان عالمك ، بعد كل هذا ، عالم فكر ، عالم فكرات ومعان ، وانفعالات وعواطف .

ليس من المهم مدى ما انت عليه من الغيرية (٢) ، ولا مقدار رغبتك في ان تبذل من ذات نفسك للاخرين . انما المهم هو انك قبل ان تعطي من نفسك ينبغي لك اولا ان تعرف نفسك ، وان تكون على وعي تام بما في نفسك ، وعلى بيّنة منها . ولن يتيسر لك ذلك الا اذا فكرت وامعنت الفكر في نفسك وفي امكانياتك الفطرية . ثم انك لا تستطيع ان تفكر في الاخرين او ان يكون لديك «الشعور» نحو الاخرين ، ما لم تفكر اولا في نفسك كعامل مركزي في العلاقات التي يمكن ان تكون راغبا في تأسيسها واقامتها، مهما تكن هذه العلاقات .

هل تستطيع ان تتخيل نفسك انك تشعر بشيء او انك تعرف شيئا دون ان تمعن التفكير فيه ؟ ألا يمكنك ان ترى من هذا ان دنياك قد خلقت ، في الاصل ، بالمعنى اللفظي من نماذج الفكر التي كوّنتها وخلقتها في مخك ؟

وهذا هو اساس السيكولوجيا الحديثة او علم النفس :

ان عالمنا الفردي لم يقم على الاسباب والبواعث والظاهرات التي خارج انفسنا ، ولكن العالم الحقيقي ، عالم كل فرد منا ، يقوم في داخلنا ، في داخل نفوسنا . وليس الذي يسجل من « الخارج » هو الذي له قيمته الحقيقية ، ولكن الذي يجب ان نعمل حسابه هو كيفية تفسيرنا لما في « الداخل » ، والذي يُعتد به ليس في السبب الظاهر ، وانما في استجابتنا المستقلة بخططها وعملها لاي مثير يحتوي على الفن الحقيقي للمعيشة . والحياة جوهر الاستجابة ، والاستجابة تحددها مشيئتنا وحزمنا وعزمنا ، وحرية اختيارنا ، وفكرنا ، وطبيعة تلبيتنا تحدد عالمنا .

فاذا كان هذا صحيحا – وانا على يقين من ان القارىء الكريم سيقرني عليه – فأنت اذن يمكنك ان تفهم بسرعة وبسهولة انك بالنسبة لنفسك اعظم شيء في العالم . لانك تبني عالمك الخاص بك بأفكارك الخاصة ! ..

قل ما شئت عن حجر الفلاسفة ، او عن مصباح علاء الدين السحري ، ولكن ماذا يكون حجر الفلاسفة ، او ماذا يكون السحر الابيض او الاسود بجانب هذا ؟ اتريد ان تكون الصانع والخالق والحاكم المنظّم ؟ ان تكون ظل الله على الارض وخليفته ، وحامل امانته ؟ .. ان تكون سيدا لهذا الكون جميعا ؟ اذن فقد تحقق جميع ما تريد .

ان الهدف الذي أقصده من هذا هو ان اجعلك تعي جيدا قيمة نفسك واقول لك ما قاله ابو العلاء المعري :

أتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر ؟

كما اني اود ان يكون حديثي اليك باعثا لك وحافزا على ان تجد نفسك وتستكشفها ، ومن ثم تبدأ توا في تحطيم الهيكل الزائف الذي يمثل الخوف والتقليد والعجز والقصور . هذا الهيكل الذي كنت تختبىء خلفه طوال السنين الماضية . حتى تثبت اقدامك على الطريق المضيء للتقدم المستمر ، والذي يقودك للوصول الى مرفأ الامن والسلام الدائم وينبوع السعادة المتدفق .

دعنا نفسر هذا معا ، كل مبدأ على حدة ، ونستعمله : فلانك عظيم في عالمك ، سينتظرك السلام في مملكتك ، والقوة في بدنك ، وسيكلل بالنجاح سعيك في استكشاف ذاتك ، وفي الوصول الى قمة المجد . وفي استطاعتك ان تكون ما تحب ان تكونه .. وستصل الى هدفك بالقدر الذي تعقد عليه عزمك ، وتركز عليه قصدك ، وتوجّه اليه اهتمامك . ولن يقف في سبيلك مانع او حائل ، ولن يعوقك اي عائق . ولن يكون هناك من يستطيع ان يحبط سعيك او يعترض سبيل رغباتك وامنياتك ، او يصرفك عن غرضك او يحوّلك عن غايتك ، بشرط ان تكون رغبتك جادة ، ثابتة ، حازمة ، ذات تأثير فعّال ، ولا بد ان تكون ضرورية – اي انها لا بد ان تستوجب الاهتمام بحق .

وبالقدر الذي تفهم به تماما رغبتك ويمكنك به ان تعبّر بأفكارك ومشاعرك عن جهدك وعن سعيك الضروري لبلوغها ستتقدم نحوها بخطى ثابتة حثيثة . اما اذا كنت على العكس من ذلك ، كأن تتحول مثلا وتتغير وتشك وتتذبذب وتتردد ولا تعرف ما تريد وتنقصك الحسم والتصميم ويعوزك حسن تدبير الامور وتفتقر الى هدف

(١) المضادات : الميول او النزعات المقاومة لاخرى .

(٢) الغيرية : محبة الغير ، والعمل من اجل نفع الغير .

كأس تخدير

* * *

اعطني الكأس وقل لي … أي خمر في الزقاق
انما الخمرة روح … تجمع شمل الرفاق
خمرة الحسن حياة … دونها الكرم محاق
انما الخمرة لطف … وايناس واتفاق
اسقني من خمرة الاخلاق … ما شئت دفاق
اي لون في الحيا … ة لا ترى فيه شقاق
أيها الساقي ادر لي … كأس حسن لا يراق
لوعة الايام شتى … ليس فيها ما يطاق
خلق الاقوام زالت … وتردت بالنفاق
وغدا الكون جحيما … ينفث الخبث سياق

غادة تسبيك يوما … ثغرها دفق الملاق
وترى فيها ملاكا … رفته خطف الاماق
قلبها خبث رياء … ثغرها سم مراق
لفظها حلو ولكن … فكرها مر المذاق
هذه الدنيا وهذا … دابها منذ البثاق
فاتخذ بيتك ماوى … واتخذ منه وثاق
لا صديق لا حميم … لا قريب لا رفاق
انت شهم وكريم … يوم كنت في ارتفاق
زهرات نافحات … وثمار في اتساق
قد زهت عهد الشباب … وتوارت بالطلاق
واتى الشيب ليهدي … ما تبقى من صداق

عيسى ميخائيل سابا

معين ، فسيتحول عنك غرضك ويتغير طبقا للحالة المماثلة.

اذن حلل رغباتك كلها .. وتأكد تماما من انها رغبات صحيحة وذات نفع ولا بد من تحقيقها .. وافحص قواك وامكانياتك وارفع الى أعلى درجة مزاياك وفضائلك .. وقلل على قدر الامكان عيوبك ومساوئك .. وتجاوز عن ضعفك الحالي ، والتمس لنفسك عذرا ، ولكن ينبغي لك ان تعوّضه بشعورك ووعيك ، وبقوتك النامية والمتزايدة بثبات وباستمرار .

افترض انك ربما كنت مخطئا في اتجاهك العقلي قبل ذلك ، ولكنك باكتشافك هذه المبادىء منذ الان ، لن تزل ولن تسقط ولن تتردى في الخطأ مرة اخرى. ودع ايمانك يقوى وثقتك بنفسك تزيد وتشتدفتتغلبعلى اخطاء الماضي.

ومن ثم اتبّع بل لاحق ما تريده وعيناك متألقتان ، ومحيّاك مشرق مضيء ، وعلى تقاطيع وجهك علامات الرضا والسرور . ومن كل كيانك الثائر المتحمس تنبعث طاقة « الغرض » المستحدثة . وسرعان ما سترى للحياة معنى جديدا ورونقا اخاذا وطعما شهيا . واما الصحة والسعادة فستجتازان الحدود الى عروقك واوردتك واما الصفات والحالات والظروف فستبدأ في الانسجام مع غرضك في الحياة . واما الاصدقاء والاحباء فسينجذبون اليك من اطراف الارض . وسترى نفسك في دنيا جديدة ، دنيا صافية نقية ، دنيا خاصة بك وحدك ، خلقتها لك قوة تفكيرك ، وصوّرتها لك على هيئة كمالية ، وعرضتها أمام ناظريك ، وجعلت لها قواما ماديا .. دنيا ولا كالدنى ، ستقبل اليك متهادية متأنية ، آتية من العماء ، من الغامض المجهول ، لكي تستقبلك مرحبة محيية ، واضعة نفسها بين احضانك ..

الاسكندرية **عبد العزيز جادو**

التربية والتطور الاجتماعي

بقلم محمود الحسنية

* * *

ليس من ريب اننا نعيش في عالم تدفعه الى التطور السريع دفعا حثيثا ... فالمقادير تتبدل، والافكار تختمر وتتولد، والاكتشافات الجديدة مع تفاوتها تتوالى وتشق طريقها الينا باطراد ملموس، تضطرنا احداثها وتأثيراتها ان تكوّن معها حالة متلازمة نكيفها الى حد كبير، وفق عمقنا في التفكير ... كما ان هذه الاختراعات والاكتشافات في شتى الحقول، جعلت عصرنا هذا ينطق باسمها، وطبعته بطابعها، ولا غرو فاننا نجدها اكثر بروزا وكثافة في العالم الذي هو اشد ما يكون ارتباطا بالثقافة العالية، ثقافة العقل والروح. فقوة الامم تعرف بقوتها المعنوية التي تأتي من حياتها العقلية قبل كل شيء ...

وبما اننا ما دمنا نعتبر ان عالمنا واحد على هذا الكوكب الارضي. فان التطور السريع الذي تحدثه العقول النيرة، لا بد ان يتناول الكون بأسره، فلا ينجو من اثره رقعة بعيدة، دون ان تتأثر بهذه التغييرات، مهما كان بعدها وسبيلها اليها، وقابليتها في الهضم والاستيعاب، ولما كان الانسان تواقا الى تحسين معيشته، ورقيه، فلا بد له من ان يغرف من معين هذه الينابيع، والموارد الثقافية: مقادير وفيرة، تزيد عن حاجته في الاخذ، ارضاء لرغبته، ونزعته في طلب المزيد، ومن هذا التعطش، نشأت بينه وبينها قضايا معقدة اقلقت علماء الفرد والمجتمع ... ووسط هذا الخضم الزاخر بتدفق الاحداث، نادى علماء التربية وجهابذة الفكر، بالتماسك والانسجام، خوفا من التفسخ والانحلال، وببذل الجهد، للتعرف على كنه عملية التطور الاجتماعي والتقدم، اذ لا يوجد حد يقف عنده المرء في اقتباس الحضارة، كما اوضحوا معالم السبيل التي يجدر بكل شعب ان يسلكها عند تصريف موارده العلمية، فالرقي يتطلب افساح اكبر مجال ممكن للقوة الابتكارية، التي يمكن ان تتفق مع النظام الاجتماعي كما عبر عنه فيلسوف بريطانيا « برتراندرسل ».

ولما كانت هذه التطورات الاجتماعية لا تحدث الا في المجتمع الذي يكثر فيه الاحتكاك الثقافي، والاقتباس الصادر عن مجتمع اخر ارفع منه شأنا. فقد يسفر عن هذا الاتصال المتباين، علاقات تنطبع بطابع تلك الحضارة، تؤثر في تفاعلها على التطور الاقتصادي والاجتماعي، وقد يرافق هذه التطورات والاحتكاكات نزعة الى الاستغلال والاستثمار، لذا تنبهت اكثر الشعوب حتى المتخلفة، واخذت تتحسس بروح جماعية الى الاستجابة للتطورات، وتلقي الثقافة، الى التماسك الوثيق فيما يتعلق بالمصادر الجديدة وتأثيرها، وبرزت التربية الاساسية تنمي الاخلاق، والمواهب، والروح الوطنية، تنسق وتنظم العلاقات الثقافية والاقتصادية، كي تجعلها في مدى تعاوني وثيق على اسس من الحب والاحترام المتبادل، واثبتت انها عنصر لا بد منه للجماعات في تكييف نفسها لمقتضيات عالم يخضع لتغيير اجتماعي مستمر، يندفع بصورة مباشرة او غير مباشرة الى ركب الحضارة، وان اكثر الاحداث الاجتماعية هي نتائج تفاعل الطبيعة البشرية مع الاحوال الثقافية، والمدنية لا تتقدم الا بالتربية البناءة، ولا تسير كما عبر عنها الرئيس الاميركي هربرت هوفر الا على اقدام الاولاد الاصحاء، ولا تنمو الا عندما يشمل تحضرها مختلف طبقات الشعب، وهي والتربية صنوان متلازمان، اذ لا فائدة من حضارة مادية، بالغة ما بلغت من الرقي اذا لم تقترن بثقافة عالية وتربية فاضلة تسودها الاخلاق والمثل العليا ... وكفى بالتربية أنها تمهد للتطورات الاجتماعية، والى فهم طبيعة البشر بمقياس جديد، وانها تصنف العناصر التي من شأنها ان تحدث تلك التطورات، وتميز بين معطيات الحقائق الوجودية ثم تقدمها متفاوتة للمجتمعات الانسانية على اسس سليمة.

وهذا التوافق الانساني في البناء الاجتماعي تسيره عقول نيرة تعرف « بحملة الحضارة » تلم، وتبني، وتوجه، نحو الخير والكمال، في عمل يشبه النمو الذي يتعرض له الكائن الحي، من ان الخلايا التي تتجدد تفوق تلك التي تتحطم، وطبيعي ان نجد وراء كل حضارة قلة مبدعة من الناس: قلة تتميز عن الكثرة لا بالقوة المادية او بالجاه بل بالاستحقاق الذاتي طبيعة وكسبا.

والعنصر الحضاري سواء نظرنا اليه من ناحية خاصة او شاملة يبقى العامل الموحد في الاستمرار الزمني من مرحلة الى مرحلة، والناس هم اشبه بالمتسابقين، يسلم كل واحد منهم لرفيقه المشعل الذي حمله، ثم يسلمه هذا لاخر، حتى يصل هذا المشعل الى الغاية المنشودة ... وهكذا فالمجتمعات البشرية تتطور وتتغير منذ كانت اجتماعيا، وهذا التطور هو سر بقائها ونموها، وهي تتكيف مع واقعها، وتسد حاجاتها، وترضي مثالياتها في وجوه الحياة، فتتخلص من القديم الذي تضيق به ويضيق هو بمطالبها وتنزع الى الجديد الذي يلائم طبيعتها ويكفي رغباتها، وتمشي قدما الى الامام وفي ذاتها تربية تفاعلية بناءة ...

محمود الحسنية

القصة العلمية

بقلم سمير عبده

* * *



ايامنا هذه ، ايام المجد العلمي والانجازات العظيمة ، يجد الانسان ان افكاره تحلق بطريقة اضطرارية بعيدة .. فالانسان لا يريد ان يحلم فقط بالغد ، ولكنه يريد ان يحلم باليوم الذي يعقب هذا الغد . ولم يحدث الان من قبل ان اصبح الخيال حقيقة بمثل هذه السرعة .

فالفترة التي ابتكر فيها الكتاب في كتاباتهم الطائرات النفاثة وصواريخ الفضاء ، ليست ببعيدة ، وكذلك نجد ان الفترة التي بحث فيها الكتاب عن مصدر قوة جبارة في الذرة التي اكتشفت الان .. ليست ببعيدة ايضا ، ومع هذا فان الخيال قد فاق الحياة ، فلم تسافر حتى الان سفن الفضاء بين النجوم ، بينما قد حلق فعلا ابطال القصص العلمية عالم النجوم .

وما زالت (سيبرنيتكس) تبدأ رحلتها المنتصرة ، ولكن الالات الماهرة التي ابتكرها خيال الكتاب قد غاصت الى اعماق البحار ، وقد وصلت الى الكواكب الاخيرة ، او قد قامت بجولتها الى قلب الكرة الارضية .

وتكفي قائمة المواضيع التي عالجها كتاب القصة العلمية لملأ كتاب كامل ، فحيث يكون الفكر طليقا يبدع الابتكار ويصور كما لو كان حقيقيا ما يريده الخيال .

ولا تزال القصة العربية الى الان تفتقر الى الرواية العلمية SCIENCE FICTION ولا تزال المكتبات العربية الى الان لم تخرج كتابا من هذا النوع لكاتب عربي ، في حين تلاقي هذه القصص انتشارا كبيرا عند القراء الشباب خاصة . وقد دخل هذا النوع من الروايات في الادب بفضل عدة كتاب مثل (جون فيرن) الفرنسي الذي اتسمت قصصه في اكثر الاختراعات الحديثة ، فقصة ......٢٠ ميل تحت البحر رسمت لنا خارطة للغواصة قبل ان تخترع ، وقصة سكان السموات اعطتنا فكرة عن الحياة في الكواكب . وكذلك كانت كتابات الكاتب الانكليزي هربرت جورج ولز التي اتسمت بعمق الموضوع وبالاتجاه العلمي القصصي ، ولعل هذه الكتابات لا تلقى الاقبال الشديد من القراء لانها كتابات خاصة ، او ان قراءها هم من النخبة الذين نضجوا فكريا وعلميا ، ويتمثل ذلك في قصة ولز طعام الالهة وكيف جاءت الى الارض حيث اكتشف العلماء نوعا من الطعام يزيد في حجم الانسان ويجعل من الطفل رجلا كاملا ، وتدور حوادث القصة في الصراع المقبل بين القديم والجديد .

وقصص ولز ورواياته ستبقى في طليعة الادب القصصي العلمي لما لها من قوة خيالية على تجسيم التصورات العقلية العلمية لما سيحدث في المستقبل ومن هذه الروايات : اول من سكن القمر من الناس ، وحرب العوالم ، وآلة الزمان THE TIME MACHINE التي تتلخص في ان العلماء استطاعوا بعملهم ان يخترعوا آلة تنقل الانسان من الزمان الحاضر الى الماضي والى المستقبل كما تنقله وسائل النقل المعروفة في الفضاء .

وتبدأ الرحلة في آلة الزمان عندما يضغط على الذراع الايسر حيث تمر الايام مرورا عابرا ونرى الليل والنهار يتصلان مع بعضهما البعض لشدة اندفاع الالة وبعد فترة من الوقت تكون قد قطعت مسافة ثمانمائة الف سنة ، ولما توقفت الالة رأينا الارض قد تغيرت ولاقى بطل الرحلة بعض الصعوبات وهو يحاول التفاهم مع هؤلاء السكان الذين عزلتهم الحضارة وجعلتهم على ما هم عليه ، ومضت عدة ايام ومن خلال اتصاله بسكان البلاد علم ان هناك نوعان من البشر هم المرلوك الذين يسكنون باطن الارض وتشبه قامتهم الاشباح حيث الشعر قد اكتسى اجسامهم وقد برزت اعينهم واصبح لها نور مشع كعيون القطط في الليل ، بينما كان سكان البلاد الذين صادفهم الرحالة اقزام بيض البشرة يسمون بشعب الايلوي ويلاحظ ان كل هذا الشعب قد خلى طعامهم من اللحوم وبقي السكان يعتمدون في طعامهم على الخضر والفواكه وفقدت الحيوانات الداجنة كالغنم والدجاج والكلاب والحصان وما اشبه ، وفي احد الايام يحاول الرحالة العودة الى البلاد التي انطلق منها ولكنه يجد الالة قد اختفت وكانت موضوعة بقرب هيكل كبير ، وانطلق في جميع الامكنة القريبة من الهيكل لعله يجدها ولكنه لا يفلح في ذلك على انه في الاخير بينما كان عائدا يرى باب الهيكل مفتوحا فيركض الى داخله ويلحق به المرلوك للامساك به ولكنه يلقي بنفسه في الالة ، وبلمحة بصر يكون قد ابتدأ في العودة قاطعا الاعوام الثمانمائة الف التي اجتازها في رحلته الى ان يصل الى قواعده سالما .

وهناك ايضا بعض الكتاب الذين برعوا في القصة العلمية امثال كارل كابك التشيكي وبراد بوري الاميركي وتشارلز اريك مين الانكليزي والكسي تولستوي وبيليايف السوفيتيين اللذين ابدعا في الروايات العلمية الشعبية ، وقد وصلا في كتاباتهم الى القمر والكواكب الاخرى قبل ان يطلق اي صاروخ فضاء حقيقي .

وهناك جون كامبل الذي يعتبر من اشهر كتاب القصة العلمية في اميركا ، وقد نشرت ثلاثة مجلدات لقصته (اقوى الالات) في عام ١٩٤٧ و (من الذي يذهب هناك) في عام ١٩٤٨ و (عباءة الاثير) في عام ١٩٤٩ ، وله كتاب ليس قصة وان كان يبدو من اسمه غير ذلك (القصة الذرية) في عام ١٩٤٩ وهو من احسن الشروح العديدة

التي وضعت لتفسير القنبلة الذرية ومعنى تطوراتها بالنسبة الينا . كذلك العالم الاميركي فيليب لاتام الذي الف عدة قصص علمية ممتازة ، فلكي في واحد من اعظم مراصد العالم ، ولذلك كان من الطبيعي ان تكون قصصه ميالة الى الفلك فمادتها تحت يديه . اما كيف كتبها : فكانت احداها عن فكرة انفجار الشمس وتحولها الى نجم جديد اسخن واقوى ضوءا ملايين المرات ، وقد تنبأ بطل القصة بحدوث هذا الانفجار قبل حدوثه بستة ايام واعلنها في الصحف ـ وتتلخص القصة بعد ذلك في تفصيل ما يحدث نتيجة لذلك . وهي قصة معقولة مصدقة جديدة . اذ ان الناس رغم تحذيرات بطل القصة لم يصدقوه حتى حدث فعلا ذلك الانفجار .

وقد امسك العلماء السوفييت المشهورون اكثر من مرة بالقلم وذلك حتى يحببوا الناس في الافكار العلمية ، وقد كتب العالم الروسي المشهور (اوبروتشيف) كتابي (بلوتاينا) و (ارض ساينكوف) ليصف لنا فترات بعيدة في تاريخ الارض ، ويحكي لنا مغامرة رجل وجد نفسه فجأة وسط الافيال الضخمة والتماسيح البرية .

وكتب الروائي (تسيولكوفسكي) رواية باسم (فيما وراء الارض والسماء) وهذا العمل يحلق في الخيال عن غزو الفضاء الخارجي . وفي عصرنا هذا تمنح الحياة مضمونا جديدا للقصة العلمية . فالكيمياء التي ابتكرت (طبيعة اخرى) تخترق الان طريقها بقوة في شئون الناس . وبالفعل هناك تغيرات عظيمة تحدث في كل فروع العلم والتكنيك وقد تخطت كل الحياة مرحلة الخيال ، واصبحت غريبة في ماهيتها ذاتها .

ويعالج كتاب القصة العلمية اليوم مواضيع جديدة ومشاكل جديدة .

وقد اثارت رواية (ايفان يفريموف) التي ظهرت حديثا باسم (نيبولا اندروميدا) مشكلة دقيقة ، فالكاتب يريد ان يصور المستقبل البعيد للبشرية ، حينما يشعر سكان الارض بأنهم مواطنون ينتمون للعالم ، وعندما تتصل المجرات بعضها ببعض ، وحينما تكتشف الشعوب التي تسكن العوالم الشمسية المختلفة لغة واحدة ، وطريقة واحدة تؤدي الى السعادة .

وهناك مع هذا عامل هام : فقد انتشرت السعادة على الارض نفسها ممثلة في العائلة المتحدة التي تسمى بالبشرية . ويظهر امامنا الماضي بما فيه من شك وعداوة وانقسام كمجرد كابوس . اما الرجال والمستقبل منهم في منتهى الكمال . والرجال على استعداد للقيام بأي شيء من اجل اهدافهم العالية .

ويضحي رجال الفضاء بحياتهم في رحلات لا يمكن ابدا ان نجد لها مثيلا .

ان رواية (يفريموف) هي اول رواية ظهرت بعد الحرب في الادب السوفييتي ، يحاول فيها المؤلف تصوير المجتمع المقبل والناس الذين سوف يعيشون في هذا المجتمع .

ولا شك ان الخيال المبتكر ، وانتصار العلم الذي تجلى في (ملاكة العالم) قد صور بعظمة بقلم الروائي العالمي (يفريموف) .

وقد اكتسبت رواية (نيبولا اندروميدا) شعبية كبيرة سواء في الاتحاد السوفييتي ام في الخارج ، وقد اشتهر ايضا (يفريموف) كمؤلف لقصص خيالية مشوقة في موضوع المغامرات التاريخية الغير عادية التي تتعلق بالماضي البعيد للبشرية .

وفي قصة (قلب الثعبان) يصف (يفريموف) مقابلة بين سكان هذه الارض وسكان نجم اخر . ويحث الظمأ الى المعرفة كلا الجانبين . ولذا يبدا كلاهما رحلات مليئة بالاخطار وذلك حتى يشبعا ظمأهما . وبالنسبة للمحاولات التي قامت لتصوير المستقبل فقد قام بها ايضا كتاب اخرون .

ويكفي ان نشير الى رؤوس الموضوعات التي تناولها هؤلاء الكتاب في السنوات الاخيرة لنقتنع بذلك . فهناك مواضيع مثل : الاجنحة التي تساعد الانسان على الطيران، والاكتشاف المماثل لبعض النباتات التي ظهرت في فترة ما قبل ، وابتكار مقو للذاكرة ، وموضوع السيادة على اعماق المحيط ، وآلة تستخدم كمستشار عالمي ، وآلة تحسن نفسها .

ان الصنف الادبي للقصة العلمية الشعبية هو نوع مرح متعدد الجوانب . وهناك روايات شعبية علمية .. تدور حوادثها في نطاق السنوات القريبة المقبلة ، او في نطاق عشرات السنين القادمة . وبالاضافة الى الكتب التي تناقش تلك المشاكل الكثيرة .. تصور لنا القصص التي تروي المشاكل الفردية للعلم او التي تتحدث عن انجازات علم التكنولوجيا .

وكانت بعض الروايات العلمية بعيدة عن التسمية المألوفة للادب ، فليس فيها غالبا سوى استغلال النظريات العلمية بخيال واسع جعل منها روايات مغامرات تجري حوادثها في عوالم اخر بدلا من ان تجري في عهود سالفة. وبقيت الشخصيات فيها بلا حياة (انسانية) ولكن كتابا موهوبين في عصرنا تحولوا نحو هذا النوع الادبي الجديد مظهرين فيه جميع مميزات الرواية الادبية مثل (وجود) شخصياتها و (حياتهم) بسيكولوجيا .

تبنى القصص العلمية تماما على القوانين الطبيعية وعمليات البحوث العلمية التي تكتشف الحقائق الجديدة المتعلقة بالطبيعة ولكن القصصي العلمي يحاول ان يتنبأ مما اكتشفته المعامل فعلا بما يمكن ان يحدث في المستقبل . فالعلم يمكن التنبؤ به ـ واساس الطريقة العلمية نفسها هو امكان التنبؤ بالنتائج ـ ويتنبأ القصصي العلمي بآلة يمكن ان تصنع على اساس المكتشفات العلمية الحالية ثم يكتب القصة عن النتائج المحتملة لهذه الالة .

في آخر النهار

* * *

تيتّم الصغار
ومات في قنديلهم نهار
وغارت الدموع في مغاور القرار
وزارهم غراب شؤم ناعق
ينفث من عيونه شرار
في اخر النهار يركض الصغار
كأنهم مع المغيب في انتظار
ابوهم الحبيب ،
لفّه الضباب في غلالة الغيوم
وجرعتهم السماء كأسها الحميم
ودبّ في جفونهم نعاس
نحيبه يموت في العيون
وعضّهم في قلبهم ناب القدر
وهم يتمتمون في براءة الربيع
لم غاب ذلك الاب الحنون ؟

لم راح وانطوى . وغام وجهه الحبيب ؟
لم يغرزون في قلوبنا مسلّة الشقاء ؟
لم يسحبون من عيوننا لآلىء الهناء ؟
ما ذنبنا نعيش في شقاء ؟
ونشتهي الكسرة في الصباح ،
ونرتدي الاسمال في النهار ،
ونمسح الوحول عن جباهنا الخابية الضياء،
وتعول الكلاب في اواخر المساء
ملاحقات هؤلاء المتعبين
الكادحين في النهار
ويشهق الانين في حناجر الصغار
وينطوي السؤال !
اوّاه من يتّم الصغار !

كلثوم عرابي

فالقصة العلمية يمكننا تميزها بحوادثها التي تجري في غير هذا العالم . في احد الكواكب مثلا ، او في الارض ، او في صاروخ فضائي ، او في المستقبل . ويرافق ذلك دائما تقدم اكثر في العلم ، سواء أكان ذلك بين سكان الكواكب ام بين سكان الارض في الاجيال التالية . وانتشار هذا النوع من الروايات يرينا حب الانسان للمفاجئات والمغامرات وثقته الكبيرة بالعلم الذي يمكن ان يقود اليهما. وقد استغل بعض الكتاب هذا النوع من الروايات لاغراض سياسية ، ولاشاعة فكرة حتمية الحرب الذرية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة .

ولهذه الروايات نزعات عدة ، فمنها ما هو علمي صرف ، مؤلفوه علماء لا يتخيلون الا ما يرونه ممكنا ، ومنها ما هو علمي خيالي ، يطلق المؤلف خياله في تصور أي شيء كان ، بصرف النظر عن امكانية حدوثه او عدمها .

وللحكم على هذه الروايات طريقتان لا ثالث لهما : الحكم من الناحية الادبية ، والحكم من ناحية المحتوى الانساني . والاثنان يسيران عادة جنبا الى جنب .

ومذ وقت غير بعيد جرى في كييف عاصمة اوكرانيا انشاء ناد للروايات العلمية . يجتمع فيه اناس يحبون الاشياء الخيالية ليطلعوا على الفرضيات وعلى المكتشفات الجديدة لدى العلم الوطني والاجنبي ويتشاوروا فيما بينهم ويتناقشوا بشأن كتاب الروايات العلمية ، وفي هيئة ادارة النادي كتاب وعلماء وصحفيون .

دمشق **سمير عبده**

مكتبة الاديب



تاريخ المغرب الكبير

تأليف محمد علي دبوز – الجزء الثاني – ٥٠٠ صفحة – حجم كبير – (لم يذكر اسم المكتبة)

هذا هو عنوان كتاب ضخم صدر منه الجزء الثاني ، ألفه الاديب العالم الاستاذ محمد علي دبوز ، المحاضر بمعهد الحياة في القرارة من القطر الجزائري العظيم . صدر هذا الجزء في خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، ويقول المؤلف ان كتابة هذا سيكون في عشرة اجزاء ، يتناول فيه تاريخ المغرب الكبير ، من اقدم العصور الى استقلال الجزائر . والمغرب الكبير في نظر المؤلف هو هذا الوطن الفسيح الذي يقع بين غرب الاسكندرية والمحيط الاطلسي ، وبين بحر العرب والسودان .

بدأت قراءة الكتاب وانا احسب انني ساجد سردا لحوادث التاريخ كما تعودت ان أجد في كتب التاريخ ، ولكنني عندما واصلت القراءة وجدت اشياء اخرى فوق سرد الحوادث ، ونقل الوقائع وتنطس الاخبار ... وجدت فهما لاسرار التاريخ ، وكشفا عن حقائقه ، ودفعا للظلمات التي تراكمت عليه ، منذ قرون طوال ، وانصافا للظلومين تعاونت السياسة الماكرة ، والشهوة الغالبة على ظلمهم . ووجدت تعليلا نفسيا لعوامل التاريخ ، وتصحيحا لاوضاعه ، وتفهما للاسباب الحقيقية التي قامت من اجلها الثورات في المغرب الكبير . ووجدت تتبعا واعيا للصراع الطويل بين النظام الذي يدعو اليه الاسلام ، والنظام المستبد الذي يدعو اليه المتألهون من ابناء البشر . ووجدت تحليلا دقيقا للمواقف والنزوات والنزعات والثورات والعقائد والاخلاق والخصائص ... هذه الاشياء التي يتكون منها جميعا التاريخ الحق لاية امة .

وقد عالج المؤلف جميع هذه الاشياء ، بذوق الفنان الحساس ، واسلوب الاديب البادع الذي يسجل اللمحة الخاطفة ، والبارقة المشرقة ، والخاطرة العابرة ، حتى في احلك المواصف ، فهو لا تفوته اشراقة الجمال أين كان هذا الجمال ، سواء كان في الطبيعة اليقظى او في الطبيعة الغافية ، وسواء كان في اخلاق الناس او في اعمالهم، وسواء كان في عقائد الناس ودياناتهم ، او في مبادئهم ومثلهم . وقد دأب المؤلف على تحليل كل موقف الى عوامله النفسية او جوانبه الفلسفية ، لا يهمل منحى ، ولا يغفل عن اتجاه ، فأخرج هذا الكتاب القيم على نحو يعتبر فتحا جديدا في التاليف الاسلامي . والمؤلف يستعرض كل تلك الجوانب التي اشرنا اليها بالفهم الصحيح ، والحكم النزيه ، والنقد الواعي ، ومعرفة الاسباب والدواعي ، فلا يغفل جانبا ، او يهمل منحى ... وحتى اولئك الظلمة ، الذين أساءوا الى الامة والى التاريخ ، يجد لهم محمد علي حسناتهم ، ويكشف عن جوانبهم المشرقة لانه يكتب عن الجميع ، بروح الاخوة التي تربطه بالجميع ، فهو يكشف عن حسنات اخوانه ، ويكشف عن سيئاتهم ، يكشف عن حسناتهم لانها فضائلهم التي اوصلتهم الى المراتب التي وصلوا اليها ، ويكشف عن سيئاتهم ليأخذ منها ابناء الامة اليوم – الابناء البناؤون – العبرة والموعظة ، لان التاريخ في جملته وتفصيله درس للعبرة والذكرى .

أحسب القارئ الكريم يتوق الان الى ان اعرض عليه نماذج من هذه الالوان التي كنت تحدثت عنها ، وهذا طلب عسير علي ، عسير علي لا لانني لا اجد هذه الصور والالوان في هذا الكتاب القيم ، ولكن لان الكتاب كله صور لهذه النماذج ، او هو صورة متماسكة الاجزاء لهذه الالوان ، وان موقفي منها موقف المخير بين قطعتي الفالوذج واللوزينج كلما هم ان يحكم لاحداها جاءت الاخرى بالبرهان . او كالشاب الذي يستعرض سربا من الصبايا الحسان كلما نظر الى واحدة نسي الاخرى ، واذهلته بجمالها الفتان ، وسحرها الطاغي .

أي والله كلما نظرت الى واحدة نسيت الاخرى من حسان هذا الكتاب . فانا اعجب بصورة من الصور ، او تحليل موقف من المواقف ، او تعليل حدث من الاحداث ، او دفاع حار عن بطل من ابطال الاسلام ، ظلمته الاقلام المأجورة ، او السيوف الظالمة ، او السياسة المفرضة ، حتى اذا انتقلت الى الصورة التي بعدها وجدت فيها من الفتنة – فتنة الجمال لا فتنة الدين والسياسة – وجدت من الفتنة والروعة والسحر، ما ينسيني الصورة الماضية ، فأحسب انني وصلت الى الغاية ، وانه ليس بعد هذه الروعة روعة ، ولا بعد هذا الجمال جمال ... ولكنني مع ذلك استرسل في القراءة ، ولو كنت في مكاني أيها القارئ الكريم لاسترسلت في القراءة ، لان الربط المحكم بتسلسل الحوادث ، والتحليل المنطقي للمواقف ، والاسلوب الادبي البارع ، تخدعك عن نفسك ، وتخدعك عن وقتك ، وعما تراكم من شغلك .

قلت ان الكتاب يقع في خمسمائة صفحة من القطع الكبير وقد تسلمته عشية يوم الاربعاء ١٩٦٣/٦/٥ م فما اويت الى فراشي ، الا بعد ان اتممته ، وقد بقيت الصور الجميلة تتراقص في ذهني بعد ذلك فترة طويلة ، وعندما قمت في الصباح وجدتني آخذ القلم لاكتب . ماذا اكتب ؟ انني لا اعرف ماذا أكتب ! ان كل ما اقوله لك وادعوك اليه ان تقرأ هذا الكتاب ، اذا اردت ان تعرف حقيقة تاريخ المغرب الاسلامي الكبير ، والتفسير السليم لما جرى فيه في ازمنة الفتح في عهد الدولة الاموية ، تاريخ الامة الحقيقي – لا مجرد حوادث القتل والسلب والحكم التي يسلسل عليها كتاب التاريخ احداث الزمن ، متبعين اليد الحاكمة وما ترسمه من خطوط .

لقد صحح الاستاذ محمد علي تاريخ المغرب في هذه الفترة التي تناولها كتابه ، وسيبقى تاريخ المغرب اجلى صفحة ، واوضح صورة ، واصدق حدثا ، واكثر اشراقا ، حتى يقيض للمشرق ابن بار يكتب تاريخه بمثل هذا القلم الواعي ... ان التاريخ أهم من ان يكون احداثا تسجلها اقلام كل ما يعنيها هو تصوير هذه الاحداث تصويرا آليا عندما ترتفع السيوف وتنخفض لتقتل ، او حينما تصدر الاوامر الى الجند لتحارب ، او حينما تنفذ الاحكام على ابناء الامة ليقدموا الى الحكام ما تتطلبه الشهوة والسلطة من خدمة ومال ، ليزيدوا استمتاعا بكراسي الحكم وعبثا بمقدرات الشعوب .

ان القلم الذي يريد ان يكتب التاريخ يجب ان يستند الى معرفة صحيحة بالدين ، وايمان عميق بالحق والعدل ، وفهم سليم لطبائع الامم والشعوب ، وادراك نير لاسرار الاحداث ، وتغلغل في حياة المجتمعات التي يتناولها بالبحث ، واطلاع واسع على الادب ، وملكة قوية على التعبير والتفنن فيه . وهذه الميزات او الخصائص كلها توفرت لمؤلف كتاب (تاريخ المغرب الكبير) فلم تنقصه صورة ، او لمحة ، او علة ، وبهذه الجوانب نفسها حصل كتابه على قيمته .

ولعلي أستطيع ان الخص خصائص هذا الكتاب القيم فيما يلي : ١ ـ الاسلوب الادبي الجذاب . ٢ ـ التعليل والتحليل . ٣ ـ الكشف عن الاسرار الخفية لاحداث التاريخ . ٤ ـ الكشف عن البواعث على تشويه بعض حقائق التاريخ . ٥ ـ انصاف المظلومين من الافراد والطوائف . ٦ ـ العدالة والنزاهة في النقد . ٧ ـ الاحترام العظيم لعظماء الاسلام والفاتحين منهم . ٨ ـ الدفاع الحار عن الخلافة الاسلامية . هذه بعض خصائص هذا الكتاب ، واني اتحدث عن بعضها بشيء من التفصيل والاسهاب لان نطاق المجلة لا يتسع لكلها .

الاسلوب : انك لتقرأ الكتاب فتأخذك صورة من الصور الرائعة ، حتى تحسب نفسك قد بعدت عن جوانب التاريخ ، والتقرير العلمي . اقرأ ان شئت الصورة الاتية في مقدمة الكتاب صفحة ١ « وكان مع الزائر المستعمر غادة يتجلى فيها جمال باريس الفتان ، الذي يراه الفرنسيون اكبر كنوزهم ، واعظم مفاخرهم ، وكانت تترقرق جمالا وتتمايل رشاقة ، وكان اهابها الوردي يشف عن دمائها ، كان جسمها من البلور الصافي ، وكان هواء الجنوب المنعش ، وسحر الربيع ، وجمال القرارة ، وجدة الاشياء في المعهد قد اذكت سرورها ، فتألق الابتسام في وجهها ، فازدادا حياها اشراقا كان مصابيح قوية قد اسرجت في داخلها ! ... فلما اخبرت صاحبها بحقيقة المعهد واهدافه ، ابتدأ الابتسام والاشراق يغيض من وجهها ، وكسته صفرة كصفرة الاصيل التي تكسو رؤوس الجبال مؤذنة بموت النهار ، ولما قلت لهما اننا نعتني بتاريخ المغرب ، وان تلاميذنا مغرمون به ، اربد وجهها واسود ، وصار ازرق داكنا كرأس الافعى اذا شدخت رأسها بالحجر لتقتلها ! فحدقت فيها فاذا صاحبها زائغ البصر واجم ، وهي قد تصلبت فذهب تمايلها ، وغاصت نضارتها ، وكستها دهمة التشاؤم والارتياع ، فبدلت لي عصا مجرورة قد التهمت منها النيران ، ثم زهدت فيها ، فاسودت وذهبت نضارتها . »

ماذا ترى أيها القارىء الكريم ؟ وماذا تحس ؟ هل تقرأ لشيخ اضنته الاسفار الضخمة وهو يقلب صفحاتها ليقدم لك قصص الجدود في حياة قطع بينك وبينها زمن طويل ؟ أم انك تقرأ لشاب زائغ العينين يلهث وراء الغواني ليعب من مشاهد الجمال الذي اضفاه الخالق على بنات حواء ، فاذا عطفت عليه الحبيبة تفتح قلبه للحياة ، وفاض لسانه بالقول، والتهبت عاطفته بالشوق ، فابتسم للوجه المشرق ، والثغر الباسم ، والقد المياس . فاذا جمحت هذه الحبيبة عنه واولته ظهرها ثم ارتمت بين عينيه ـ في احضان حبيب اخر ـ فما له غير ان ينصب عليها بالقول المقذع ويرميها ، بالجفاف والذبول ، وينعتها بالاحتراق والموت ، ويجعلها افعى شدخ رأسها بالحجر فاسود من السم المحتقن والالم الممض ، والحقد القاتل . هل انت أيها القارىء الكريم في هذا التصوير مع اديب ؟ او مع مؤرخ ؟ وهل انت مع وطني غيور يشرح حقائق التاريخ لابناء وطنه فيهجم على الاستعمار يلتمس او هي الاسباب ليجعلها وسيلة للتنكيل ؟ أم مع شاعر يتسكع في شوارع باريس يحدق في اجسام الغواني ووجوههن ليظفر بلفتة او ابتسامة .

ان المؤرخ العادي يكتب عن هذه الحادثة فلا يجد فيها الا صورة عادية من الاف الصور والوقائع التي جرى بها التاريخ على ميدان الزمن ، ولقد يرق الحس عند احدهم فيذكر مع زيارة المستعمر زيارة صاحبته ولكنه لا يعني بجمالها وقبحها ولونها وشكلها ، واحساسها وانفعالها ، لانها تقف بجانب مجرى التاريخ فهي صورة في الاطار ، وليست حقيقة في تاريخ الحادثة . ان الاديب الفنان وحده هو الذي يلتقط الصورة وما يحيط بالصورة دون تعمد او قصد لانها تقع في النطاق الذي يتحدث عنه ويتناوله بالتصوير . وهذه الصورة الحية المترقرقة لفتاة تبتسم وتعبس ، وتميد وتتصلب ، هذه الصورة بما فيها من تقلبات واحساسات ، وعواطف والوان هي الادراك العميق لحقيقة

التاريخ ، ووعيه بما فيه من قبح وجمال ، وان كان هذا التصوير – تصوير النواحي الفنية ورسم الاطراف والحواشي – ليس من صلب الموضوع الذي يتحدث عنه المؤرخ العادي .

وانك لتعجب لهذه الحاسة الفنية ، التي تترك صاحبها في موضع الاستجواب وهو معرض لما لا يعلمه الا الله من الوان الاضطهاد والتعذيب. ثم تنطلق بمشاعر صاحبها لترسم هذه الصورة الجميلة لهذه الحادثة التاريخية ، ثم تختزنها عندها حتى اذا جاءت المناسبة ابرزتها في اطارها الجميل ضمن حوادث التاريخ .

واقرأ ان شئت الصورة الاتية من نفس الكتاب صفحة / ٢٢ « وكان عبد الله بن سعد قد قضى على جرجير وحزبه ، فظهر وسط افريقيا ، وبقي الساحل الشمالي ، وبعض المراكز في الجنوب لا زالت تعج بالروم ، الذين يتنمرون للمسلمين ، ويوغرون قلوب البربر على العرب، ويسعون ان يظل المغرب ثديا لبيزنطه الى الابد ، ثدي الرضيع الذي يمصه ويعضه ويلوثه ، لا ثدي الحسناء تؤثره بالعطر ، وتخصه بالعناية، وتحرص ان يكون دائما الى الاعلى لا الى الاسفل » .

ما هذا الكلام ؟ أهذا كلام مؤرخ يسجل الاحداث ، ويقص الاخبار ، ويذكر المحسن في جدية وصرامة ووقار ؟ ... ان التاريخ عمل الشيوخ الذين اضناهم البحث ، وقتل التنقيب حيويتهم ، فلم يعد يستبيهم جمال ولا يستميلهم بهاء فيجري حديثهم رزينا وقورا متعاليا عن غليان العواطف واهتزازات القلوب ! ... ولكن صفحات طوالا من الحديث الجاد الوقور ، لا يمكن ان تؤدي معنى هذه الصورة القصيرة الرائعة ، ان هذا الثدي الذي يتربع على صدر الحسناء ، ثم يتدلى الى اسفل ليدر اللبن حتى اذا امتص الرضيع خيره اعرض عنه وقد يلوثه بالدرن او يعضه بالسن ان هذا الثدي للرضيع في مقام الامة بين يدي الحاكم الظالم ، والدخيل المستعمر ، انهم يمتصون خير الامة حتى اذا استنفذوه وابطرتهم النعمة رجعوا على ابناء هذه الامة بالتنكيل والعذاب ، انهم لم يتصوروا الموقف الثاني للثدي ، انهم لم يفهموا انه موضع الفتنة والجمال ، وانه يحق له ان يغمر بالعطر ، ويتولى بالعناية ويرفع الى الاعلى ليكون كما اراده الخالق غذاء للرضيع ونزهة للمحب ، وعظمة للفادة ، وحق للطبيعة على ابنائها ، عليهم ان يصونوا جماله ، ويحفظوا بهاءه . لو ان المستبدين والمستعمرين فهموا ان للشعوب حق الجمال ، وحق الرفعة ، وحق العناية لما تردى العالم في المهاوي المظلمات ! ...

واقرأ ان شئت الصورة الاتية من نفس الكتاب صفحة ٣٣ : « سيما عاصمتهم قرطاجنه التي لا زالت عذراء لم يقصدها احد من الفاتحين الاولين ، انها رابضة على الشاطىء تنظر نظرات اللبؤة المعتدة بنفسها ، فلا بد من اخضاعها بالسنان ، لتنظر الى المسلمين نظرات القطة الذليلة » .

هل اصبحت المدن والجبال والبحار مخلوقات تحس وتتحرك ؟ وتتكلم وتنظر ؟ انها كذلك عند محمد علي دبوز لانه لا يراها بعيني الجغرافي الجاحد ، ولا بعيني المؤرخ القصاص ، ولكنه يراها بعيني الاديب الفنان الذي يدرك اسرار الحياة حتى في الجماد . ان للوردة النضرة ، والنجمة المتالقة ، والنهر الجاري ، والغدير الساجي ، والبدر الريان ، والهلال النحيل ، والجبل الشامخ ، والربوة الفناء ، ان لكل هذه الاشياء روحا وحياة بها تكتسب الجمال ، وتعبق بالسحر ، وتظلل بالحب ، ولكن هذه الحياة ، وهذا الجمال ، وهذه الحركة لا تعرفها مقاييس العلم ، وانما تدركها مقاييس الفن والادب . والمؤلف اديب وفنان . فهل تراه لا يستشف الحياة التي تمور في جسم هذه الفادة الحسناء وهو يتحدث عن جزيرة شريك « وكانت جزيرة ظريفة قد نتأت في وجه افريقيا الجميل كما ينتأ الانف الاقنى في وجه الحسناء » .

يتحدث هذا الرجل عن الجمال ، عن التراب والصخر ، عن قارة بأكملها ، بجبالها ووديانها ، فكيف يصفها بالجمال ويجعل لها وجها وانفا ؟ لا ! ... انه لا يتحدث عن الجماد ! .. انه لا يتحدث الا على مخلوقات تحس وتتحرك .. انه يراها بعين الاديب الفنان الذي يخلق الروح في الجماد ، ويبعث الحياة في الموات ، ولولا هذا الحس الذي يدرك اشياء لا تخضع لمقاييس العلم لحرم الانسان من امتع شيء في الحياة ، لحرم من الفن الجميل وحطمت يراعة الشاعر ، وريشة الرسام ، وازميل النحات .

استعمل المؤلف هذا الاسلوب الادبي الفني في كامل كتابه ليثير الشوق في نفس القارىء اذا اراد ان يبدأ معه الحديث ، ويلجأ الى هذه الصورة الشعرية الراقصة ، عندما يحس انه اطال الجد واجهد ذهن القارىء بالحقائق . فاذا ادرك ان القارىء قد انسجم معه ، وتحرك ذهنه للتلقي .. دخل الى ميدان التاريخ ، تاريخ الماضي او الحاضر ، ليقصه بجميع مشاعره وقواه ، بروحه واحساسه ، والمؤلف حين كتب هذه الفصول لم يكتبها حوادث مضت عليها قرون من الزمن رجع اليها بالبحث والتنقيب بين الاسفار والاثار ، وانما كان يصف حوادث عاش بين احداثها ، وناقش اصحابها ، وانتقد المخطئين فيها، ورافق المخذولين والموفقين ، انه لا يكتب تاريخا مضى ، ولكنه يقص ذكريات عاشها واحسها ، واستمتع بكل لحظة من لحظاتها ، انه طوى الايام ، ورجع القهقرى ، وعاش بين اولئك الناس الذين كتب عنهم ، فهو يصف حياته بينهم بما يملك من حرارة العاطفة ، ودقة الاحساس ، وفيضان الشعور ولذلك فلا تملك الا ان تصغى اليه في انتباه وتستمع في اعجاب ، وتستزيده في شغف ، فاذا احس بالملل يسعى اليك ، وبالسآمة تقترب منك ، انجدته قريحة الاديب ، وحساسية الفنان ، فعرض عليك صورة من تلك الصور الشعرية التي تنعش النفس ، وتبعث الحرارة ، وتجدد النشاط .

أحسبني أطلت في هذا الجانب من جوانب المؤلف ، والاطالة في هذا الجانب لا تكشف الحقيقة التي ارمي اليها ، ان الحقيقة تنكشف بقراءة الكتاب . فعليك ايها القارىء الكريم بمطالعة هذا الكتاب الفريد الجديد ثم حدثني هل وجدت فقط ما قلته لك ، ام انك اكتشفت فيه من الاسرار والكنوز ما جعلك ترضى عن الوقت الذي صرفته في القراءة ، والنقود التي دفعتها ثمنا للكتاب .

التعليل والتحليل : من ميزات هذا الكتاب تعليل الحوادث والوقائع والمواقف بتحليل النفسيات . نفسيات الافراد والشعوب والطوائف والدول ، والمقارنة بينها ، وجعلها سببا حقيقيا للنجاح او للاخفاق . وقد حلل المؤلف نفسية البربر في ذلك الحين ، ونفسية الرومان ، ونفسية العرب ، ونفسية الفاتحين والامراء .

ففي تحليل نفسية البربر يرى المؤلف ان البربر في ذلك العصر قوم طبعوا على الشجاعة ، وكرم الخلق ، والاعتداد بالنفس ، وحب الحرية وعدم الخضوع للقوة مهما كان مصدر تلك القوة . وكان بعضهم يدين بالوثنية ، اما البعض الاخر فيدين بالمسيحية المحرفة ، الشبيهة بالوثنية ، وهم حين يدينون باحدى الديانتين لا يؤمنون بها الايمان النابع من اغوار النفس ، المتغلغل في داخل العقيدة ، وانما يتبعونها اتباعا عاطفيا لحاجتهم الى دين يشبعون به غريزة التدين في النفس ، وكلتا الديانتين لم تنبع من بيئتهم او تنشأ في وطنهم او يأتيهم بها نبي او متنبىء من عندهم . ولذلك فالدين عندهم في ذلك الحين لا يرتكز على عقيدة راسخة ، ولا يرجع الى مأثرة قومية ، ولا يتخذ شكلا وطنيا فيحرصون عليه هذا الحرص الشديد الذي يحرص عليه اولئك الذين جعلوا انفسهم سدنة لدين من الاديان باحدى الاعتبارات السابقة . ثم هم امة بدأت تنفض الغبار عن نفسها ، وتنبعث الى الحياة ، وتعمل لتحل محلها الكريم في تاريخ البشرية . فلما ورد

عليها الاسلام في سماحته وعدالته ، ووضوحه ، هفت اليه هاشة باشة ، وتقبلته راضية راغبة ، ولكنها ما كادت تفعل ذلك حتى استعمل معهم بعض الفاتحين لغة القوة ، لغة الحديد والنار ، ومد اليهم يد الاستغلال ، اليد التي تجمع الثروة ، وتسبي الابناء ، وعاملهم معاملة من يريد ان يقتل فيهم العزة والكبرياء ، وان يمرغهم في حماة الهوان والذلة . فاجفلوا اجفال الظليم ، وفروا فرار الظبي يرى امامه غديرا رقراقا وعندما يحاول الشراب يحس بشرك الصائد ، فيرتد مذعورا ليعتصم بالصحراء ، مفضلا قساوة الحر على قساوة القنص . وقد غطى ما ارتكبه بعض الفاتحين لجهلهم بنفسية البربر – عن سماحة الاسلام وعدالته ووضوحه . وظن البربر ان الاسلام هو الاخر طعم يجذبهم الى الفخ ، كما فعلت بهم المسيحية التي جاء بها الرومان ، فيعودون الى العبودية وهي اكره ما يكرهون ، ولذلك فقد بقوا مدة بين جزر ومد . يقدم عليهم ابو المهاجر او حسان من الفاتحين المعتدلين المتفتحين . فيركنون الى الاسلام ، ويقبلون عليه اقبال المتفهم الذي يحب ان يبني لنفسه ومجتمعه وكيانه بناء شامخا على اساس سليم متين . ويعود اليهم غزاة او ولاة لا يعرفون الرفق ولا يميلون الى اللين، ولا يكشفون عن وجه الاسلام السمح، ولا يدعون الى الله بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، وانما يتقمصون جلد النمر . ويضربون بمخلب الاسد . فيفزع البربر من جديد الى سيوفهم ، ويرمون ما استقبلوه من دين ، حاسبين ان هؤلاء الفاتحين الذين جاءوا بالاسلام، لا يحملون دينا ، وانما هم يلوحون به كما يلوح الصائد بالطعم ، ليملك البلاد والعباد .

هذه النفسية هي التي جعلت البربر يفزعون الى الردة ، ويعاودون الكفر في مبدأ الفتح ، فلما اطمانوا بالاسلام قلبا ، وآمنوا به عقيدة ، وفهموه حق الفهم ، احتفظوا به كما جاءهم عن رسول الله ، ووجهوا ضرباتهم الى اولئك الذين يخرجون عن حكم الاسلام الى حكم الملوك ، ويحاولون ان يحكموهم بالبطش والقوة والعدوان . فثاروا في اوجههم وكونوا لانفسهم دولا مستقلة هنا وهناك ، فاتخذت ثورتهم لونا اخر ينصر الاسلام ، ويكافح الظلم والفساد ، ويقيمون دعائم العدل والحرية والاخاء بين ابناء امة محمد من جميع الاجناس .

ويحلل المؤلف نفسية الرومان فيرى انهم امة هرمة ، اكل الترف حيوتهم ، ومزقت الطبقية وحدتهم ، واضعف اللين والبذخ فتوتهم ، وامتلات نفوسهم بالزهو والغرور ، فمنهم امة لا تجدي فيهم النصيحة، ولا تنفع الحكمة ، ولا يقنعهم البرهان ، ولذلك يجب ان يعمل فيهم السيف فيجتث الجذوع النخرة ، ويقتلع الجذور الميتة ، وهذه الجذور وتلك الجذوع لا يفيدها السقي ولا تنفعها العناية ، ولذلك فيجب لها الاستئصال لتفرس في تربتها الخصبة نبتة طرية تستقبل الحياة ، وتكافح من اجل البقاء بدماء الشباب . وشبيهة بهذه الصورة تحليله لنفسية الفرس ، ولذلك فان استعمال السيف في تلك الامم ينجح نجاحا لا تبلغه الدعوة ، بينما تنجح الدعوة في المغرب الكبير نجاحا لا يبلغه السيف . اما الامة العربية فيرى المؤلف انها تنقسم قسمين متباعدين جمهور مكة والطائف وهذا المجتمع بما حصل عليه من ترف ومكاسب مبنية على الدين الوثني الذي استتبعوا به العرب في الجاهلية ، وامتلكوا الثروات الطائلة ، شبيه بالمجتمع الروماني او الفارسي لا يجدي فيه الا منطق القوة اما بقية المجامع العربي الذي بدا هو الاخر يستقبل الحياة ، ويروم القضاء على هذه الارستقراطية المتمكنة من مكة والطائف ، هذا المجتمع شبيه كل الشبه بالبربر تجدي فيهم الكلمة الحسنة ، والمعاملة الطيبة ، والدعوة الواضحة ، ما لا تجديه السيوف ولا تقوم به العوالي الطوال .

ويحلل المؤلف نفسية الفاتحين والامراء ، فيتحدث عن مسلمة وعقبة وابي المهاجر وحسان وموسى بن نصير ، وغيرهم ممن اشترك في تلك الاحداث سواء كان في جيش الفاتحين ، او في جيش اعدائهم ، الذين يعترضون الدعوة ويقفون دون الفتح . كما حلل نفسية الامام على بن

أبي طالب ، ونفسية معاوية ، ونفسية عمر بن العاص ، تحليلاً مسهباً . وارجع الى هذه النفسيات ما لاقته من نجاح او اخفاق في ميدان السياسة او في ميدان الحروب .

كان المؤلف يجل عقبة بن نافع كل الاجلال ويحسبه من عظماء الرجال ، ولكنه مع ذلك يرى ان عقبة فشل في فتح المغرب الكبير ، وهذا الفشل يرجع الى العوامل النفسية التي يتحلى بها عقبة نفسه ، تلك العوامل التي كونتها نشأته في صدر الاسلام ، ومشاهدته للحروب العظيمة التي قام بها الفاتحون من جند الله في بلاد العرب او بلاد فارس او بلاد الروم ، لقد شاهد عقبة رسول الله وشهد حروب الفتوح المجيدة ، واستمع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الجهاد ويحث عليه ويعد عليه اجرا عظيما ، وقرأ في كتاب الله ما اعده الله للمجاهدين الصابرين . ورأى سيوف المسلمين تنطلق لتحطم الوثنية في الجزيرة ، وتقوض دعائم الملك في فارس والروم ، وتبيد الطبقة المترفة التي نشأت في ظل الانظمة الفاسدة ، من الدول الهرمة .

فأشرب حب القتال ، واتخذ الجهاد عقيدة ومبدأ عليها يحى وفيها يموت ، فهو ينطلق الى مواطن الشرك كالقذيفة لا يبقي ولا يذر ، يقتل ويسبي ، ويغنم ، ثم يتقدم فيقتل ويسبي ويغنم ، لا يعاشر الامم التي يحاربها ، ولا يداخلهم في حياتهم ، ولا يهتم بدرس نفسياتهم ، ولا ينظر الى الفوارق بين شعب وشعب ، وامة وامة ، ووطن ووطن ، ان الكفر كله ملة واحدة ، فهو يريد ان يخضع الناس جميعا بمنطق القوة لحكم الاسلام ، فهو عنيف في كل مواقفه .

ويرى المؤلف ان هذا العنف الذي اتخذه عقبة في المغرب ، وهذه الشدة التي حارب بها البربر في وطنهم ، وهذا الانعزال عنهم في الحياة هي الاسباب التي ادت به الى الفشل . انه بهذه النفسية وبهذا السلوك استطاع ان يفتح البلاد ولكنه لم يستطع ان يفتح القلوب . ولذلك فما يغادر مكانا حتى يعلن الثورة ، وتنتشر الردة ، وتعود السيوف والرماح الى الكفاح ومحو آثار الفتح الذي جاء به عقبة . ان نفسية عقبة تصلح لرجل يتولى امر الجهاد في بيئة كبيئة الروم او الفرس ، اما في بيئة كبيئة البربر فان تلك النفسية لا تصلح البتة . وقد اثبتت احداث التاريخ صحة هذا الراي . فرغم بطولة عقبة وشجاعته وحبه لدين الله وانتصاراته الكبيرة في المغرب ، رغم هذه الخلال العظيمة والاعمال المجيدة فان عقبة لا يعتبر من الناحية النفسية فاتح افريقيا ، انه لم يستطع ان يحبب الاسلام الى السكان ، ولم يستطع ان يربط اواصر الاخوة بين العرب والبربر ، ولم يستطع ان يقيم دعامة يبني عليها قواعد الدين الحنيف في هذه الامة العظيمة ، التي تتوق الى التحرر والانطلاق والانعتاق من اوازر الماضي ، الماضي المظلم ، او الماضي الظالم !... والى جانب تحليه لنفسية عقبة يحلل نفسية ابي المهاجر ويرى ان ابا المهاجر استطاع ان ينجح حيث اخفق عقبة لان نفسية ابي المهاجر غير نفسية عقبة . ففي الحين الذي يكون فيه عقبة كالعاصفة القوية ، يقتلع الجذور ، ويطيح بالدوح السامقة يكون ابو المهاجر كما يصوره محمد علي بهذه العبارة « وكان ابو المهاجر في انطوائه على اللين وعلى الشدة كنور الشمس ، رفيقا يداخل الاشياء بالحياة في سهولة ولكن فيه قوة القتل للجراثيم » وكان يعرف ان المسلمين بدينهم الذي يفتح القلوب ، لا بسيوفهم التي تفتح البلاد .

« ثم يقيم ابو المهاجر ــ بين البربر ، يتصل بهم فينشر فيهم الدين بالدعاية ، ويبث فيهم الاسلام كما كان يبثه الرسول باللسان لا بالسنان » والكتاب غني بالتحليلات النفسية لاولئك الذين تولوا امر الحكم او امر الحرب في المغرب ، ويعلل المؤلف عدم نجاح عقبة وموسى بن نصير وامثالهما في المغرب بهذه الشدة التي طبع عليها كل واحد منهم ، ويعلل نجاح ابي المهاجر وحسان واضرابهما في نظره ــ بهذه الناحية النفسية الى فهمهم الصحيح لرسالة الاسلام اولا ، ولنفسية الشعوب التي يفتحونها ثانيا ، وهم بهذا الفهم استطاعوا أن ينجحوا في ابلاغ رسالة الاسلام الى حيث لم تستطع القوة الضاربة ، والجيوش الغازية ، والايدي المنتقمة ان تبلغها ، والمغرب مدين في اسلامه الى هؤلاء الابطال الفاتحين الذين فهموا نفسية الشعب البربري فعاملوه بالرفق وتولوه بالارشاد ، وابلغوا اليه الدين بالحسنى ، لا الى اولئك الذين قادوا الجيوش ، فقتلوا عددا اكثر من النفوس .

ولست ادري هل تعرض احد قبل الاستاذ محمد علي الى مثل التحليل النفسي وتعليل النجاح او الفشل بهذه النظرة النفسية ، ولكنني ارى على كل حال ان المؤلف وفق الى حد كبير في الكشف عن ناحية هامة من تاريخ كفاح الاسلام ، وما لاقاه من عنت في الانتشار ببلاد المغرب الواسعة الارجاء .

والمؤلف رغم نقده لسياسة بعض الفاتحين مثل عقبة الا انه لا ينكر عليهم مزاياهم العظيمة ، ومواهبهم السامية وما قدموه للاسلام من خدمات، وقاموا به من تضحيات ، وتجلى فيهم من بطولات وعبقريات .

ويبدو انه كان يتمنى ان توجه مثل سيوف عقبة الى الدول الهرمة التي يجب أن تداوى باستئصال الداء ، وتحطيم الكبرياء ، وان توجه دعوة ابي المهاجر وحسان الى هذه الشعوب الفتية التي هي في حاجة اشد الى الدعوة البليغة ، والموعظة الحسنة ، واليد الرفيقة ، والقلوب المحبة ، والمعاملة بالتساوي ، والحياة المشتركة في فرصة متاحة ، وعدالة قائمة ، وكفاح مستمر للبناء والتشييد .

نالوت ــ ليبيا

علي يحيى امعمر



● الابطال — تاليف الفيلسوف توماس كارليل — ترجمة محمد السباعي — ٢٤٤ صفحة — حجم كبير — منشورات دار الكاتب العربي ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ابن الشعب — رواية — تاليف رفائيل ساباتيني — لم يذكر اسم المترجم — ٢٥٦ صفحة — منشورات دار الكاتب العربي ببيروت — المطبعة التجارية (؟)

● ابناء السندباد — تاليف الان فاليارس — لم يذكر اسم المترجم — ٤٤. صفحة — حجم كبير — منشورات دار الكاتب العربي ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اشهر ملكات التاريخ — تاليف ليديا هويت فارمر — لم يذكر اسم المترجم — ٢٢٨ صفحة — منشورات دار الكاتب العربي ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مشاهير رجال العلم — تاليف س. ك. بولتون — ترجمة الدكتور وصفي حجاب — ٣٣٦ صفحة — حجم كبير — منشورات دار الكاتب العربي ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● موسوعة تاريخ العالم — الجزء الرابع — اصدرها وليم لانجر — اشرف على الترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة — تصدير حسن جلال العروسي — ٤٧٠ صفحة — حجم كبير — منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة — مطبعة مصر بالقاهرة .

● انت وصحتك — تاليف دروتي باروك واليزابيت مونتجومري و و. بوير — ترجمه بتصرف وقدم له محمد علي حافظ — مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي — ٢٩٠ صفحة — مصور — منشورات مؤسسة الخانجي بالقاهرة — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● توجيه معلمي المستقبل في فترة التدريب العملي — تاليف ارنست ج. ملز — ترجمة السيد محمد العزاوي — مراجعة وتقديم محمد سليمان شعلان — ٨٨ صفحة — منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة — مطبعة دار الطباعة الحديثة (؟)

● انحراف الاحداث — تاليف وليم كفاراكيوس — ترجمة الدكتورة عنايات زكي محمد — مراجعة محمد سليمان شعلان — اشراف محمد علي حافظ — ٦٨ صفحة — منشورات دار القلم بالقاهرة — مطابع دار القلم بالقاهرة .

● تدريس الرياضيات في المدرسة الثانوية — تاليف هوارد ف. فهر — ترجمة الدكتور لبيب جورجي — مراجعة احمد زكي محمد — اشراف وتقديم محمد علي حافظ — ٧٦ صفحة — منشورات دار القلم بالقاهرة — مطابع دار القلم بالقاهرة .

● ايطاليا .. شعبها وارضها — تاليف فرانسيس وينوار — ترجمة الدكتور محمد نظيف — مراجعة الدكتور عبد الرحمن زكي — تقديم الدكتور عز الدين فريد — مصمم الغلاف صلاح الدين فوزي — ٢١٦ صفحة — مع عدة لوحات — منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة — مطبعة مصر بالقاهرة .

● زنبقة الغور — رواية — تاليف امين الريحاني — طبعة ثانية — (ظهرت الطبعة الاولى سنة ١٩١٥) — ٣٢٤ صفحة — منشورات دار الريحاني للطباعة والنشر ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● جدار العار .. وقصص اخرى — تاليف عبد الله الشيتي — مصمم الغلاف اسكندر لوقا — ١٦٠ صفحة — المطبعة العمومية بدمشق .

● قصة البحر — تاليف و. ماكسويل ريد و و. ويلفريد س. بروتسون — ترجمة الدكتور محمود محمد رمضان — مراجعة الدكتور كامل منصور — مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي — ٢٤٨ صفحة — حجم كبير — مصور — منشورات دار النهضة العربية بالقاهرة — مطبعة لجنة البيان العربي (؟)

● ١٨ تموز يوم عمان — اشرف على اعداده واخراجه عبد الله الشيتي السكرتير الصحفي لامامة عمان في دمشق — ٣٢ صفحة — اصدار مكتب دولة امامة عمان بدمشق — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سلام مع الله — تاليف الدكتور بلي جراهام — ترجمة نجيب جرجور — ٢٥٢ صفحة — منشورات مركز المطبوعات المسيحية ببيروت — مطبعة قلفاط ببيروت .

● اسماك الفرات ، ثروة هامة ضائعة — تاليف المحامي عبد القادر عياش — ٣٦ صفحة — منشورات صوت الفرات — (لم يذكر اسم المطبعة).

● التسكع والمطر — شعر — اسماعيل عامود — مصمم الغلاف نعيم اسماعيل — الخطوط لمحمد مصطفى قنوع — ١٣٢ صفحة — مطابع ابن زيدون بدمشق .

● تسع قصص — تاليف خضر نبوه — ٩٦ صفحة — مطابع الوفاء ببيروت .

عبارات بسيطة مثل – كيف حالك – او – طاب نهارك – ، ولكنهم لا يستطيعون تركيب جملة واحدة كاملة ، وبالرغم من ذلك ، ففي امكانهم احيانا ان يلعنوا ويسبوا ، ولكن ترديد مثل هذه العبارات ، في تقدير البروفسور باي ، لا يعدو ان يكون استجابة بسيطة ، ولا تعني نقل فكرة عن طريق اللغة . فان مثل هذه الاستجابة البسيطة ، اقرب الى نباح الكلب منها الى اللغة البشرية بشكلها المعقد .

وقد ثبت بان المصابين بفقدان القدرة اللغوية ، لم ينسوا الكلمات ، وانما نسوا او فقدوا القدرة على الاستفادة منها ، وبالتالي استعمالها . حتى اذا ما برئوا من مرضهم – كما هو في بعض حالات الاصابات الدماغية – سرعان ما تعود اليهم من جديد ، وبصورة مفاجئة قدرتهم على استعمال الالفاظ . ولعل هذا الاكتشاف يفتح لنا مجالا لنظرة عميقة في طبيعة الانسان . فان اللغة التي نستعملها نحن البشر مليئة بالمفاهيم ومرتبطة بها . فالفكر والكلام اذن ، عملية واحدة في هذه الحالة . وفي هذا الصدد يقول البروفسور باي ان ما يميز لغتنا عن لغة الببغاوات ، هو ان لغتنا عبارة عن مفاهيم ، مرتبطة لدينا بتعبيرات صوتية معينة . وفي حالة الاصابة بفقدان القدرة على الكلام ، انما يتضح ان الاصل فيها هو فقدان هذه المفاهيم اصلا ..

أخطاء الفهم لدى المصابين

وقد حاول البروفسور باي ان يتعرف بالطرق التجريبية عن وجود اية مظاهر اخرى لفقدان القدرة اللغوية ، وبالتالي المفاهيم اللغوية ، في اية ميادين سلوكية اخرى غير اللغة المنطوقة . وفي هذا الصدد طلب البروفسور باي من بعض المصابين بالمرض المذكور ان يرسموا اشياء معينة ، يفهمون مدلولها جيدا ، حين تقال لهم في صوت واضح ، مثل البيضة مثلا . وقد تبين له ان هؤلاء قد احدثوا اخطاء واضحة تدل عن عدم استيعابهم للواقع الخارجي ، فقد رسموا البيضة مثلا على شكل منتظم تماما ، واغفلوا الشكل البيضوي الذي تتميز به . وقد طلب البروفسور باي من احد المرضى بفقدان القدرة اللغوية ان يرسم فنجانا لاحتساء القهوة ، فكانت النتيجة ان رسم شيئا اقرب الى اناء الشوي المفلطح منه الى الفنجان . وعندما طلب البروفسور باي من بعض هؤلاء المرضى تشكيل آنية من بعض الصلصال ، كانت استجاباتهم قريبة من استجاباتهم التي سبق ان قدموها عن طريق الرسم . فقد اغفلوا اهم ما في الاناء ، الا وهو عمقه الداخلي ، الذي من اجله صنع ليتسع او يحمل بداخله شيئا ... غير انه عندما طلب من هؤلاء المرضى ان يرسموا زرافة ، جسموا الفكرة الرئيسية فيها ، وهي طول الرقبة ، في كافة اعضائها ، وبذلك لم تكن الرقبة وحدها هي الطويلة ، وانما كل عضو من اعضاء الزرافة كذلك بما في ذلك الرقبة .

فقدان القدرة على التمييز اللغوي

وقد قام مريض بفقدان القدرة اللغوية ، بتشكيل جسم معين ، لا يفتقد المرء فيه الاستعداد الفني الواضح . وقد كان هذا الجسم قريبا جدا الى شكل السمكة بزعانفها، ولكن المريض اسماه « طائر او سفينة » . وقد كان يقصد القول ان هذا الشيء شكله شكل سمكة ، ولكنه قال انه سفينة . وهذه احدى ظواهر مرض فقدان القدرة اللغوية . فقد عجز المريض هنا ان يميز بين السفينة والسمكة، ولذلك فقد انعكس ذلك ايضا في تعبيره اللغوي .

وبناء على ما تقدم فان البروفسور باي يرى ان مرض فقدان القدرة اللغوية ، انما هو خلل يصيب المفاهيم اللغوية لدى المريض، وبالتالي قدرته عن استعمال الالفاظ . او استخدامها وفقا للمفاهيم التي ترتبط بها . وهذا معناه ان الخلل الذي اصاب المريض لا علاقة له باللغة ، من حيث كونها اطارا خارجيا ، وانما بمضمون اللغة من حيث كونها مفاهيم ورموزا تعتمد على العمليات العقلية العليا في الدماغ . ففي مقدور المصابين بذلك المرض ان يرددوا بعض عبارات السباب التي لا تزيد في مضمونها عن مضمون نباح الكلاب.. اي انها بمجرد استجابة بدائية بسيطة . ولكن اللغة لم تخلق لتلعب ذلك الدور البدائي لدى الانسان . وانما هي على العكس من ذلك، مظهر اساسي من مظاهر التفريق بين الانسان والحيوان ، والواقع ان دراسة مرض فقدان القدرة اللغوية لا يلبث ان يؤدي الى دراسات انتروبولوجية وفلسفية ، ابعد مدى من التجارب الطبية . وفي هذا الصدد يقول البروفسور باي ان ارسطو كان محقا عندما سمى الانسان بانه الكائن الحي الناطق ، او كما يقال : الحيوان الناطق !

في كلمات ...

● لدى دراسة تاثير ما فوق الصوت في طابع العمليات الفيزيا – كيميائية والبيولوجية دراسة دقيقة اكتشفت ظاهرات هامة في معهد الفيزياء البيولوجية في اكاديمية العلوم السوفياتية . فقد وجد ان جميع الجزيئات البيولوجية ولا سيما البروتيينات والخمائر تتعرض ، في حقل موجات ما فوق صوتية ، لتحولات كيميائية لا تتعلق بمميزات الحقل فقط بل وبالغاز الذي تشبع فيه المحاليل المصونة . وتمكن ايضا من تحديد علاقة معينة بين طابع التحولات الكيميائية الحاصلة ونشاط الجزيئات البيولوجي . ودرس بنوع خاص الانسولين الهورمون من هورمونات الجسم البشري الذي يساهم في تمثل النسج للهيدروكاربورات والذي يتسبب نقصه بالسكري . واظهرت تجارب اجريت على حيوانات ان الانسولين الذي يخضع لتاثير الموجات ما فوق الصوتية مع وجود الهيدروجين تزداد فعاليته سبعة اضعاف . وتفقد المعالجة وسط الارغون وهو غاز غير فاعل النشاط البيولوجي الى حد كبير . ويمكن ان تكون لذلك اهمية عملية ، لان الهورمون النشيط جدا يخل كذلك بنشاط الجسم ، الطبيعي . ويمكن الان تشديد دراسة الهورمونات والتأثير فيها . فقد يتوصل الى ان توضح بمزيد من العمق العلاقة بين تركيب كل هورمون ووظيفته الامر الذي يساعد على فهم الدور الذي تلعبه الهورمونات في الجسم على نحو افضل . وسوف تخضع مستحضرات بيولوجية وطبية اخرى ، بالتاكيد ، لما فوق الصوت لزيادة فعاليتها وربما لايجاد طرائق معالجة جديدة تماما .

● صرح الدكتور عبد العزيز شرف رئيس وحدة الادوية بالمركز القومي للبحوث بالقاهرة، بان نبات الصبار يحتوي على مادة لها تاثير فعال في تسهيل عمليات الولادة ، وفي تخفيض ضغط الدم . واضاف ان التجارب اجريت على الحيوانات « الحامل » حيث اعطيت جرعات من عصارة الصبار فاحدثت فيها اجهاضا مما يدل على قوة تأثيره ، وانه يمكن استخدامه لتقوية عضلات الرحم لتسهيل الولادة اذا اعطي بجرعات مناسبة . وقال الدكتور محمد بهاء الدين فايز رئيس وحدة كيميا النبات بالمركز انه تبين له من تجاربه ان نبات صبار السيزل الامريكي يعتبر من افضل الانواع ، كما ان صبار «اليوت» به نسبة عالية من المواد التي تدخل في صناعة الهرمونات .

● استطاع العلماء في امريكا ان يستخدموا من السردين فيتامينا معينا يمتاز بانه يقوي النظر ويزيد حدة البصر .

● نجحت التجارب التي اجراها الدكتور كمال الدين حسن بكلية الطب بجامعة عين شمس بالقاهرة باستعمال نبات الداتورة في علاج مرض الربو . وقد اثبتت هذه التجارب ان بذور هذا النبات تقلل من حساسية الرئة وبالتالي يمكن القضاء على هذا المرض . وكان العالم مصطفى صالح الباحث بوحدة النباتات بالمركز القومي للبحوث قد اثبت ان نبات الداتورة يحتوي على مادتين لهما تأثير فعال في علاج مرض الربو وهما «السيبلوين»

و « الهايسوين » ويقوم العلماء بالمركز القومي للبحوث الان باجراء تجارب لاستخلاص هاتين المادتين من نبات الداتورة وصنع العقار منهما.

● يستنتج استنادا الى التقرير الذي نشره المجلس الطبي البريطاني في لندن انه من المعتقد الان ان تكون الفيروسات هي احد العوامل العديدة التي تستطيع احداث داء السرطان . وذكر التقرير في القسم الذي يتحدث عن اسباب الداء لدى البشر ان البحث الذي يجري في افريقيا الوسطى برهن « بصورة تكاد تكون اكيدة » على ان ثمة نوعا من فيروس ينقله البعوض وهو مسؤول عن احداث سرطان الفك الذي يصيب الاولاد . ويؤيد مجلس الابحاث الطبية البريطاني اعمال المجلس الطبي في افريقيا الشرقية وابحاثه في هذا الباب . وجاء في التقرير ان ثمة نوعين من الفيروسات يظهران بصورة طبيعية خلال شهر (ايار) ثبت انهما يحدثان السرطان عندما نحقن بهما فصائل من القوارض الشبيهة بالجرذان وهما فيروسان يصادفان بصورة دائما تقريبا في الانف وهما متهمان باحداث الانفلونزا . ويضيف التقرير : لا شك انه قد يكون من الشاق جدا برهان وجود العلاقة الفعلية بين الفيروسات وبين حدوث بؤر الصديد والالتهابات والاورام لدى الانسان . ولكن نتيجة للتطورات الاخيرة التي تمت في هذا الحقل بدا في الجو بعض الامل فيما يتعلق باختبار استطاعة فيروس ما ان يحدث السرطان في الجسم البشري وذلك بفحص تاثيرات هذا الفيروس على الخلايا الانسانية بواسطة زرع هذه الخلايا بدلا من الاعتماد على اختبارات وتجارب قد تكون اعتباطية او ليست بذات وزن وقيمة . واذا ثبت ان الفيروسات هي سبب بعض انواع السرطان فيكون اذ ذاك في الجو بعض الامل في ان تؤدي التجارب التي ستجري على مواد كيميائية وعقاقير طبية كمادة « انترفيرون » وغيرها من الفئات المضادة للفيروسات الى ابتكار وسيلة للشفاء من السرطان او الى منع حدوثه . وعلاوة على ذلك ان السبل التكنية المتبعة في المختبرات لجعل الخلايا الانسانية تنمو على نحو شبيه بنمو الاورام السرطانية قد تؤدي الى ادراك سبب تصرف اية خلية من الخلايا البشرية على مثل هذا النحو او بمثل هذه الطريقة . وهذا بدوره مما قد يؤدي الى ابتكار وسائل للحؤول دون حدوث السرطان بصورة عامة .

● تعتبر الضجة من اعقد مشاكل هذا العصر . ولقد منحت دائرة الابحاث العلمية والصناعة الحكومية في بريطانيا مبلغ ١٤٢ الف جنيه الى جامعة سوثمبتون لانشاء معهد جديد مختص بدراسة الصوت والاهتزازات والضجيج وفي جملة ذلك ضجيج الدراجات النارية والعربات والمراوح والثاقب اوالحفارات الآلية التي تقوم على مبدأ ضغط الهواء وما الى ذلك من عتاد ميكانيكي يحدث ضجة .

● يعتقد كثير من الناس ان مدمني الخمور قوم تجردوا من الاخلاق والارادة ولكن الدكتور جيمس سميث الاستاذ بجامعة بنسلفانيا يرى ان اصل الادمان اضطراب في الغدة النخامية التي تقع في اسفل المخ . ومن هنا ، كان لوم المدمن على ادمانه لا يختلف عن لوم المريض لاصابته بالمرض . وقد اكتشف هذا الطبيب بعد دراسة طويلة لعدد كبير من المدمنين من مختلف الاعمار ، ان بينهم شابها قويا في طريقة عمل غددهم . فقد وجد ان قليلا من المدمنين مصابون بالصلع ، وان لمعظمهم شعرا كثيفا في الرأس وخفيفا في سائر الجسد . ومع ان ٤٠ شابا في كل مائة ، يشكون من « حب الشباب » فان ٤ فقط من المدمنين الشبان مصابون به . ولما كانت الغدد تتحكم في هذه الحالات ، فقد اتجه الطبيب الى فحص غددهم ، وتحقق ان غالبيتهم مصابون باضطراب في الغدة النخامية . وحين جرب في علاجهم الهرمون الجديد « ا.ك.ت.هـ. » كانت النتائج مدهشة فقد عوفي من الادمان بعد علاج قصير ٨٠ مدمنا من مائة ، وتحسنت حالات الباقين تحسنا ملموسا .

● صرح ناطق بلسان وفد طبي استرالي بان الاطباء العاملين في استراليا وسنغافورة تمكنوا من انتاج مركب كيماوي يستطيع انقاذ مدمني المخدرات من تشوقهم الطبيعي الى المخدرات خلال ثلاثة ايام . وقال ان سلسلة من التجارب التي اجريت نتيجة لاستعمال العقار الذي دعي اميفينازول اسفرت عن شفاء ١٢ من مدمني الافيون الذين عولجوا به . وقد امكن شفاء اسوأ تلك الحالات خلال ثلاثة اسابيع . واضاف الناطق قائلا ان المركب كان فعالا ضد الهيرويين والمورفين . وانه بمجرد التغلب على التشوق الطبيعي للمخدرات يصبح المريض مستعدا لمعالجة نفسانية كي تصبح لديه مناعة ضد الانتكاسات .

● ابتكر علماء جامعة بريستول البريطانية وجراحوها جهازا جديدا هو عبارة عن آلة تشكل خرطوشة توضع في قنال الاذن وتحدث اصواتا ذات ذبذبات عالية وذلك لمعالجة انواع من الالتهابات التي تحدث في الاذن الداخلية وتسبب للمصاب الدوخة المتواصلة وتنتهي بالطرش والصمم . وتمت حتى الان معالجة ما يزيد على ١٨٠ مريضا بهذه الطريقة وشفي منهم نسبة ٨٠٪ .

● انشأ مجلس ابحاث مرض الربو في لندن مصلحة جديدة لخدمة من يشكون حمى القش فتكثر لديهم عملية العطس الى حد مؤلم عنيف لمح الوطأة بالازعاج الذي يسببه للمصاب . ولقد وردت في الصحف اللندنية للمرة الاولى في اول الشهر نشرة اضيفت الى النشرة الجوية عن لقاح الزهور والنبات في الهواء ، اذ يعتبر هذا اللقاح هو المسؤول عن حمى القش والعطس . وذكرت النشرة : ان نسبة اللقاح اليوم عشرة وتشير التكهنات بنسبة اعلى غدا . فمثل هذه الارقام تعني عدد ذرات اللقاح في كل متر مكعب من الهواء وهي بمثابة دليل نافع قيم لمن يشكون حمى القش وهي نوع من الانذار لمن يصابون بالعطس المتكرر المزعج . وسيكون في استطاعة مثل هذه التجارب ان ترشد المصاب الى عدد المرات التي يترتب عليه فيها تناول العلاج ضد الحمى المذكورة ومتى يتوجب عليه البقاء في منزله مقفلا نوافذه ومسدلا ستائرها منعا لتسرب حبوب اللقاح الى انفه ورئتيه . ولقد كانت هذه المصلحة تؤدي خدمات متواصلة الى الاطباء البريطانيين مدة عدة اعوام ولكن نتيجة اختباراتها وخلاصة تكهناتها لم تكن تنشر حتى الان كي يقف على حقيقتها الجمهور مع العلم بان مشكلة حمى القش جدية الى حد كبير في الولايات المتحدة لذلك تتكرر الاذاعات هناك عن نسبة عدد حبوب لقاح الازهار والنبات في الهواء .

● اكتشف اطباء الاطفال في امريكا ان الطفل الذي يمص اصابع يديه يكون اذكى من الطفل الذي لا يمصها وان نموه العقلي يكون اسرع من نمو غيره من الاطفال . فمص الاصابع ينشط تلقائيا المادة الرمادية في المخ ! وهم ينصحون كل ام بان تترك طفلها يمص اصابعه كيف شاء وتشجعه على ذلك . فمص الاصابع لم يعد « عادة سيئة » كما كان يعتقد الاطباء قبل ذلك فقد اصبح مص الاصابع « عادة ذكية » .

● ضوضاء المدينة تؤثر على حدة السمع وتضعفها وفقا للدراسة التي اجراها فريق من الخبراء البريطانيين على سكان ابناء احدى المدن في بريطانيا وقارنوها بحدة السمع عند القبائل في السودان . وقالوا في تقريرهم انهم لم يلاحظوا فروقا هامة بين الشباب حتى سن العشرين ولكن حدة السمع عند ابناء المدينة بدأت تضعف ، واحتفظت بمستواها بين ابناء القبائل بعد هذا السن وعللوا السبب بانه الضوضاء التي تكثر في المدينة ولا اثر لها في حياة القبائل .

● امراض النبات تهاجر كالطيور من بقعة الى اخرى في مواسم السنة المختلفة كما قال احد خبراء امراض النبات بجامعة كورنيل. فهي تفر من برد الشتاء في المناطق الشمالية اذ تركب الرياح وتنتقل الى المناطق الجنوبية

فاذا ما اقبل الربيع ركبت الرياح مرة ثانية واتجهت الى المناطق الشمالية . واذا كانت من الامراض التي تعجز عن الهجرة فانها تختفي في البذور ، وتحت القاذورات ، وفي المخازن المختلفة .

● برهن القمر الصناعي تلستار انه قد يصبح خلال سنين قلائل الوسيلة العملية للمواصلات اللاسلكية التي تصل اجزاء المعمورة معا بصورة سهلة شاملة . هذا ما صرحت به سلطات مصلحة البرق والبريد العامة في بريطانيا والتي انشات محطات ارضية جنوب غرب البلاد تمهيدا لهذه العمليات ولتحقيق مثل هذه الفكرة الجبارة في مستقبل قريب .

● اعلنت الحكومة السويسرية انها طلبت الى احد العلماء الالمان ان يغادر سويسرا لانه كان يجري تجارب على « اشعة الموت » ، التي تستطيع ان تسقط الطائرات وتدمرها لحساب دولة اجنبية . واجابت الحكومة السويسرية على سؤال برلماني بقولها ان العالم هو الدكتور هانز ايرهارت وانه دخل سويسرا في شهر فبراير ١٩٦١ باسم اخر . وانه ظهر فيما بعد انه كان يعمل في ابحاث وقود الصواريخ في المانيا الشرقية . وانه حصل على ترخيص رسمي لاجراء تجارب على صناعة قنابل من نوع حديث ولكنه لم يقم بهذه التجارب وانما راح يقوم بتجارب في داره بالقرب من سارنين في وسط سويسرا على نوع من الاشعة القصيرة الموجات تستطيع اسقاط اية طائرة من اي ارتفاع ، وتعد اكتشافا لم يسبق له مثيل . وقد قدم العالم اختراعه لوزارة مواد الحرب السويسرية ولكنها لم تبد اهتماما به ، ولكن الاشعة البراقة التي كانت ترى ليلا حول منزله في سارنين اثارت تكهنات ضخمة في المنطقة ولما بحثت السلطات عن الطريقة التي دخل بها العالم البلاد واكتشفت الوسائل التي يمول بها تجاربه طلب اليه البوليس مغادرة البلاد وعدم العودة اليها مرة اخرى .

● وضع كيميائيو اكاديمية العلوم الاوزبكية طريقة كيميائية لمعالجة القطن الخام تسمح بتحويله الى حرير . وعلى هذا النحو يمكن لحقول القطن ان تنتج المادة الاولية لنوعين من الاقمشة في وقت واحد : الحريريات والقطنيات . بعد المعالجة الكيميائية يحول القطن الى سليلوز ولا يبقى سوى خطوة للحصول على ألياف حرير تركيبي . والحرير الاصطناعي من القطن امتن من الاقمشة القطنية بكثير . وهو اجمل ويستخدم استخداما متنوعا .

● ابتكر المهندسون البريطانيون نوعا جديدا من الاشرطة السينمائية التي تعطي حادثات الرواية الواحدة ومشاهدها في اربع لغات مختلفة في استطاعة اربعة اشخاص يتكلم كل منهم لغته فقط ان يستمع الى الشريط ويفهمه كما يفهمه زملاؤه الثلاثة الاخرون كل في لغته . وذلك بواسطة سماعة يضعها كل منهم على اذنيه فيسمع حوار الرواية باللغة التي يريدها .

● تباع الان في طوكيو غسالة كهربائية موسيقية حتى تغسل ربة البيت اليابانية الملابس والبياضات وتعصرها على انغام الموسيقى الحالمة ولا تشعر بالارهاق ولا الملل وتحتفظ باعصابها هادئة .

● انتشر اخيرا على شواطىء بريطانيا احدث اختراع ياباني للتنويم . والاختراع عبارة عن صندوق صغير له مفتاحان ويصدر عند استعماله نغمات رتيبة كصوت سقوط المطر يجعل من يستمع اليه ينام بهدوء في اي مكان

● ذكرت وكالة انباء تاس السوفياتية ان الاخصائيين صمموا الة تصوير تستطيع التقاط ٤٤٥،٠٠٠،٠٠٠ صورة في الثانية . وتستطيع هذه الالة تصوير مراحل ومضة البرق . وتدور داخلها مرآتان بسرعة فائقة تسقطان الصورة بواسطة عدسات خاصة على فيلم ثابت .

● ابتكرت مؤخرا زجاجة لحفظ السوائل « تيرموس » غير قابلة للكسر . وتقول الشركة التي صنعتها انها استطاعت ان تحل مشكلة ايجاد مادة لا تتحطم اذا ما تعرضت للصدمات حتى لو القي بها فوق الارض او السطوح الصلبة وهي تحفظ السوائل ساخنة او باردة كاية زجاجة عادية . ويختلف شكلها قليلا عن اية زجاجة اخرى مماثلة اذ صنع وعاؤها الداخلي من مادة البوليبروبيلين وهي مادة صلبة غير قابلة للكسر . وقد اجريت على الزجاجة تجارب تبين نتيجتها ان باستطاعتها تحمل حرارة بلغت ١٤٢ درجة مئوية .

● ثلاثون مليون طن هو وزن النيازك الاجمالي التي تسقط كل سنة على كوكبنا . هذه المعطيات استحصلت بواسطة الاقمار الاصطناعية . كان يعتقد في الماضي ان وزن المواد النيزكية التي تسقط من الفضاء الجوي الى الكرة لا يتجاوز الالف طن في العام . هذا ما اعلنه العلماء السوفيات .

● يعتزم ان تجري هذه السنة هزة ارضية كبرى قرب طشقند . وهدفها هو ان تجرب ، في ظروف الزلزال ، مقاومة الدور السكنية التي هي من عناصر جاهزة من الباطون المسلح. ولقد سبق للعلماء الكازاخيين ان اجروا مثل هذه الـ « هزات » الارضية لامتحان مقاومة المباني الصناعية الكبرى للزلازل واثبتوا ان مباني مصنع النسيج الجاري بناؤها في مدينة الما ـ آتا يمكنها ان تقاوم الزلازل التي من القوتين ٦ و ٩ .

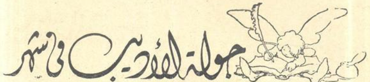
● عقد سير برنارد لوفيل ، مدير مرصد « جودريل بانك » البريطاني ، مؤتمرا صحفيا بعد انتهاء زيارته للاتحاد السوفياتي قال فيه انه بهر بعمل الفلكيين السوفيات وانه يعتقد ان هناك عددا كبيرا من السكان في مختلف اجزاء الكون ولكن المشكلة الكبرى هي طريقة الاتصال بهم .

● تم في اليابان تسجيل اختراع جديد لالة تصوير صغيرة يمكن تركيبها على مقدمة الحذاء . ويكفي ان يحرك الشخص اصابع قدمه ، فتتم عملية التصوير ، ويجري تبديل الفلم . وستستخدم الكاميرا الجديدة بالدرجة الاولى ، في اعمال البوليس وموظفي المعارف.

● انتجت احدى الشركات الالمانية بمدينة مانهايم الواحا زجاجية ممزوجة بالالياف الزجاجية الصنعية . وهذه الالواح المبتكرة لا تحترق مطلقا ، لانها ممزوجة بمادة كيمائية تطفيء النار . وهي تصلح بصورة خاصة للابنية المعرضة لخطر الاحتراق ، وللمحلات التجارية والمعامل الصناعية .

● نجحت شركة « الكترون موليكيول ريسرش » بصنع بطارية كهربائية بواسطة الاجسام الحية . فيتم توليد الكهرباء من مجموعات مختلفة من البكتريا التي تجري تغذيتها من الفضلات العضوية . ويمكن جمع البطاريات المفردة لتكوين جهاز كبير واحد يولد قوة كهربائية قدرها ٢٠ واط تنتج شدا قدره ١٤٤ فولت . وقد تبين بان هذه البطاريات « الحية » تعمر طويلا بالنسبة للبطاريات التقليدية المعروفة .

● كان من ابرز ما ظهر في المعرض الدولي للاجهزة والمعدات التي تستخدم لصيد الاسماك الذي اقيم في لندن اخيرا ، جهاز رادار ترانزيستور من صنع شركة «ديكا» البريطانية وهذا الجهاز الجديد والاول من نوعه ، يمكن استخدامه في القوارب والزوارق الصغيرة ، وفي سفن الصيد واليخوت واللنشات . والجدير بالذكر ان الاجهزة التي تقوم على الترانزيستورات لا تسخن كالاجهزة التي تستخدم الصمامات الكهربائية . فالترانزيستور عازل للحرارة ويمكن الاعتماد عليه اكثر من الصمامات الكهربائية كما انه اقل استهلاكا منها للطاقة . وباستطاعة الجهاز ان يزود السفن التي تستخدمه بمعلومات عما يجري في البحر لمسافة ٤٤ كيلومترا وتظهر هذه المعلومات واضحة على شاشته .



لحظات مع شاعر « غابة الزيتون »

فؤاد الخشن ، قلب ناعم ، روح طيبة ، من بلادي ، من غابة الزيتون ، يقص حكايات ، للابناء ، للاحفاد ، عن الحب والخير والجمال ، فاذا الحب اسطورة كبرى تغني ، والخير دفق شلال معطاء ، والجمال متاهات عريضة في دنى النغم الحالم ، المفناج ، واذا فؤاد الخشن ، ذلك المعلق بين الارض والسماء ، ينشد :

لي عالم مـلء ذاتـي	اعيـش فيـه حياتـي
فيـه اعانـق وحـدي	اسـراري الفـائمـات

— قلت له : ما قولكم بالمرأة ، كمرأة ، وكشاعرة ؟

— لا شك ان المرأة هي مصدر الالهام الاول للشاعر ، وحافز من الحوافز القوية للابداع الشعري ، اما كشاعرة فقد عرفنا في القديم شاعرات كدن يتفوقن على الشعراء نذكر منهن الخنساء ، وفي عصرنا هذا طلعت علينا من العراق نازك الملائكة ومن فلسطين فدوى طوقان ومن سوريا طلعت الرفاعي ومن لبنان باسمة الباطولي ، وجميعهن أعطين شعرا جميلا لا يقصر في شيء عن شعر الرجال .

— بمن تأثرتم من الشعراء في بداية عهدكم بالشعر ؟

— تأثرت بشعراء اذكر منهم : شوقي وعلي محمود طه وابو القاسم الشابي وابراهيم طوقان وعمر ابو ريشه والاخطل الصغير وامين تقي الدين واديب مظهر وفوزي وشفيق المعلوف والشاعر القروي وايليا ابو ماضي وامين نخله وسعيد عقل وصلاح لبكي وابو شبكه والياس اديب ، جميع هؤلاء كانوا اساتذتنا الذين مهدوا لنا الطريق ، ومن الظلم ان نقول فيهم ما يقوله بعض « المتشاعرين » اليوم انهم قد انتهوا وكاد شعرنا العربي ان يصبح عالميا على ايدي « زرازير » الشعر هؤلاء .

— ماذا صدر لكم من جديد بعد مجموعتكم الاولى «سوار الياسمين»؟

— بعد «سوار الياسمين» مجموعتي الشعرية التي تدور حول المرأة والتبتل بالجمال صدر لي اخيرا عن دار مكتبة الحياة مجموعة جديدة بعنوان « غابة الزيتون » — صحراء الشويفات — وفيها شعر ريفي يصور طفولتي الاولى وصباي في ضيعتي الخضراء الجميلة ، الشويفات ، ويصف شتى الجمالات كالكروم والبيادر والعين والعرزال و « سنديانة الخلوة » . اما القسم الثاني من الديوان فهو يتطرق لموضوعات اجتماعية وطنية ، وهناك بعض القصائد الغزلية وبعض قصائد الحنين الى لبنان الوطن الحبيب الذي اغتربت عنه وبقيت اتوق للعودة الى ربوعه .

— نحن نعتقد ان الشاعر المعدم ماديا يعطي اكثر من الشاعر الثري ، بصراحة فما مدى انطباق هذا الاعتقاد عليكم شخصيا ؟

— لقد انتجت اكثر قصائدي عندما كنت معلما تعضه الحاجة ، وعندما اغتربت الى فنزويلا وعملت في التجارة وجمع المال تابعت انتاجي الشعري وان لم يكن بنفس الفزارة ولا ازال الى الان اعيش لهذا الشعر الحبيب، لحروفه النارية الدافئة التي تنبض في عروقي وتلهث في دمائي . لا شك ان الشاعر يغني في حالة الفقر اغاني بائسة فيها الكثير من التشاؤم والتصوير لحالة المعذبين في الارض وان غناءه هذا يصبح اكثر اشراقا وتفاؤلا عندما تصبح مشكلة العيش بالنسبة اليه غير واردة ، ولا يعني هذا انه ينسى كوخ الفقير وعرق الكادح .

— هل باستطاعة الشاعر ان يكون قصاصا في آن واحد ؟

— من النادر ان ترى الشاعر يوفق في كتابة القصة ، ولا اعرف شخصا استطاع ان يجمع بين الشعر والقصة الا صديقي الدكتور عبد السلام العجيلي من سوريا .

ما هي نصيحتكم الى الشاعر اللبناني الناشيء؟

— ان يقرأ ويتثقف وان يوازن بين مطالعاته العربية وبين مطالعاته العالمية للحفاظ على الاسلوب العربي والديباجة العربية ، لا ان ينقل افكارا وهموما ومشاعر غريبة بعيدة عن افكارنا وهمومنا ومشاعرنا كما يجري ذلك لاكثر الشعراء ، هذا اذا صح تسميتهم شعراء مجلة « شعر » .

— ما هو نشاطك الحاضر ؟

— انني اعيد النظر بملحمتي الشعرية الطويلة « ادونيس وعشتروت » التي اتفقت على اصدارها قريبا مع احدى دور النشر التي لا اذكر اسمها الان .

— من يعجبك من الشعراء المحدثين ؟

— من العراق السياب والبياتي ونازك وبولند الحيدري ، ومن سوريا صديقي نزار قباني ومن لبنان جورج غانم وخليل حاوي .

— ماذا تقترحون على الدولة لتشجيع الادباء في لبنان ؟

— من واجبات الدولة الاولى ان تهتم باقامة رابطة للادباء والشعراء والفنانين وان تقيم لهم مبنى خاصا يجتمعون فيه ويتناقشون ويعرضون اخر نتاجهم فبهذا الالتماس والاحتكاك تتولد شرارة الابداع ، لا سيما اذا كانت هناك جوائز كجوائز الدولة وغيرها من الوسائل التي لا تخفى على من يريدون الخير لهذا البلد اذا اهتموا بالفئة الواعية فيه .

— هل انت راض عن نفسك كشاعر ؟

— انا راض عن شعري الغزلي والريفي واتمنى بعد ان انقطعت عن مطالعاتي طيلة سبع سنوات في المهجر ان اعود الى امهات الكتب العالمية فاكتنز ثقافة واعطي شعرا يصور هموم انسان العصر والانسان العربي بصورة خاصة وارجو ان يتاح لي ذلك .

(الشعب) — بيروت	سليم مسعود

●

سوء التمثل

أتساءل احيانا : هل في المشكلة سوء تمثل ؟ ... أظنان الكلمات التي يفرزها المثقفون على الورق ، هل تفهم او هل تسهم في فهم واقعنا المعاشي ؟ .... ان سوء تمثل الثقافات الاجنبية واضح جدا لدى كتابنا ومثقفينا . فثمة ذات محاولات عديدة في ميدان القصة ، متأثرة الى حد كبير بأسلوب الكاتبة الانكليزية « فرجينيا وولف » .. التي تكتب باسلوب متوتر سببه الموضوع المتوتر الذي تختاره دائما . هذه السيدة المثقفة تتلقف هذا الاسلوب لتطبقه تطبيقا اعمى يمكن اعتباره امثولة لسوء التمثل الذي ذكرته . فأبطال القصص التي تكتبها قلقون حتى في المواقف التي لا تستدعي العصبية والقلق . وبينما نجد ان ادب « فرجينيا وولف » متوتر لانه ادب موفقي يصور لحظة نفسية طارئة ، نلاحظ ان قصص السيدة التي تقلدها متوترة .. رغم انها لا تقدم مواقف تستدعي ذلك التوتر . والسبب هو سوء تمثل الثقافة الاجنبية الذي انساها ان تكتب فرجينيا وولف بهذا الاسلوب .. ولماذا لم تحاول اسلوبا اخر ؟ ...

(الجندي) — دمشق	خلدون الشمعة